

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والستين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٢٦ — الموافق ١٦ شعبان سنة ١٣٤٤

اللباس وأرتباطه بصالح الناس

«كل ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان سرف او مخيلة»

ابن عباس

لما نزلنا القطر المصري منذ اربعين سنة لقينا رجلاً وحيهاً كبير السن من اقدم الامر السورية التي سكنت هذا القطر . ودار الحديث مرة على ازياء الناس في اللباس فذكر لنا السبب الذي حملهُ على لبس الثياب الافرنجية من سترة و بنطلون بعد ان كان يلبس اللباس البلدي من قفطان وجبة مثل سائر التجار معاصريه . قال «كنت تاجراً في بولاق ولي تجارة واسعة بين مصر والسودان وكان عندي خادم اوربي الاصل يلبس الثياب الافرنجية ويقضي اشغالي في الحكومة . جاءني ذات يوم وقال انه تعذر عليه قضاء شغل لي في المحافظة ولا بدّ من ذهابي بنفسي لقضائه . فركبت دابتي وسار معي الى ان وصلنا الى باب المحافظة فترجلت ودخل هو امامي وسرت وراءه فتمنعي الحاجب من الدخول فاستغربت ذلك وقلت له كيف تمنعي من الدخول وهذا الذي دخل امامي خادمي . وعاد الخادم وحاول اقناعه بانني سيده فلم يقنع بل شتمني بالتركية وهو يقول بالعربية المكسرة هذا خواجه وانت فلاح . فعدت ادراجي واسرعت الى محل ميرس بائع الثياب الافرنجية وجعلت اخلع ثيابي البلدية واقول له هات ما عندك من الثياب »

هذه القصة على بساطتها تبين اهم الاسباب التي تدعو الى تغيير اللباس وهو اما جلب نفع او درء ضرر مادياً كان كل منهما او اديتاً

وكانت هذه السطور واكثر الذين من سنه كانوا في صباهم يلبسون الثياب التي

يلبسها أبناء بلدكم في ذلك العصر ولم يغيروا لباسهم عن هوى بل لانهم رأوا في تغييره فائدة لهم مادية او ادبية ولو حاول احد صرفهم عن هذا التغيير لحسبوه معتدياً على حق طبيعي وهو طلب النفع من حيث لا يقع ضرر على الغير

وبعد فقد نشرنا في مقتطف مارس سنة ١٩٠٤ مقالة في مثل هذا الموضوع لعالم محقق وهو السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق الآن فأبنا ان نعيد بعض فقراتها هنا . قال

« لفظ بعضهم هذه الآونة في مصر والشام بفتوى استصدرها احد سكان الترنفال في الرخصة بلبس المسلمين القُبعة بحجارة لمواطنيهم من الافرنج وتقادياً من ان بنالهم اذى اذا ظلوا محنفظين بشعار رأسهم حتى كاد يوقن من لا يعرف الاسلام ان لبس القُبعات من الطامات وان ما تواطأ اهل هذا العصر على ستر رؤسهم به من الصوف او الفرو او القطن او الحرير او القطن على اختلاف اشكاله هو هو عماد الدين وأساس اليقين . على ان الامر اقل مما توهموه واكبروه يناقضه ما ورد في الحديث الصحيح من ان الشارع الاعظم قال كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة وقال ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان سرف او مخيلة

« وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام لبس الجبة الرومية مع انها من لباس النصارى واكتسى الطيلسان الكسروي وهو لبوس مجوس الفرس . وكذلك الصحابة لم يخرجوا من لبس اهل البلاد التي افتتحوها نصارى كان اهلها ام مجوساً . وصح ان الناس نساء ورجالا لبسوا البرانس اول الفتح من غير تكبر مع انها من لبوس اهل النصرانية . وقد سئل مالك عن البرنس وكان من لباس الرهبان فقال لا بأس به . قيل له فانه من لبوس النصارى قال كان يلبس هنا . وقال عبدالله بن ابي بكر ما كان احد من القراء الا له برنس رواه ابن حجر . وجاء في سفر السعادة للفيروزابادي انه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل ولبس العمامة بغير قلنسوة ومع القلنسوة والقلنسوة بغير العمامة وكان يحمل العذبة بين كتفيه في اكثر الاحوال . قال وكان يلبس الثوب المعلم والثوب الساذج والثوب الاسود والفرو المعلم على اطرافه بالسندس وكان له جبة خسروانية مزينة عليها مخيف من الدباج مخيطة واما الطيلسان فانه كان يلبسه حال الحر كما في اليوم الذي امر فيه بالهجرة فانه جاء في نصف النهار الى بيت ابي بكر وهو مطبلس واما

حدث انس كان يكثر القناع يعني يلبس الطيلسان كثيراً فحمله بعضهم على اوقات الضرورة وفي السفر

« ويروى ان ابا يوسف من اصحاب ابي حنيفة ارتأى تخصيص العلماء بزي خاص في الملبس ليعرفوا فيطاعوا وتكون كلمتهم العليا ايضاً حلوا فتباعد على هذا الرأي بعضهم واراد ان يبرر هذا التيجوز ويحيل له مأخذاً من الدين . قال محمد صديق حسن خان في حسن الاسوة في تفسير قوله تعالى « يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين بدنن من جلايبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين » : واستنبط بعض اهل العلم من هذه الآية ان ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الاكام والعممة ولبس الطيلسان حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزاً لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاواهم واقوالهم . قال السبكي ومنه يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة امر مشروع ايضاً انتهى « واقول ما ابردهذا الاستنباط وما ابعده وما اقل نفعه وجدواه لا سيما بعد ما ورد في السنة المطهرة من النهي عن الاسراف في اللباس وإطالته وقدمع من ذلك سلف الامة وأئمتها فاين هذا من ذاك وانما هو بدعة قبيحة شنيعة مردودة على صاحبها احداثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ومن هنا قال علي القاري في معرض الذم لاهل مكة لهم عمام كالابرار وكائم كالخراج . وما ذكره من ان زي العلماء والاشراف في هذا الزمان سنة ردة ابن الحاج في المدخل بانه مخالف لزيهم في زمن النبي وزمن الخلفاء الراشدين وبعدهم من خير القرون فان قيل انهم به يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزي الاول لعرفوا به ايضاً مخالفتهم لما عليه غيرهم الآن اهـ

« وإنك لترى المغربي اليوم يلبس من الثياب ما لاعهد للمصري به ولهذا من الازياء الخاصة ما يباين لباس العراقي والشامي . والفارسي والطاغستاني ازياء يختلف بعضها عن بعض على قرب الجوار وكذلك البلوخيستاني والافغاني والصيني والهندي والبنجاري والجاوي والباقي والبنجباري والسوداني والصومالي فلكل من هؤلاء الاجناس زي خاص يروونهم وابدانهم فمن يرنس الى عمامة خضراء او بيضاء الى طربوش اسود او احمر الى عقال وكوفية الى لبادة وقبعة قش او صوف الى قلنسوة وعرقية وكلها تدور على وقاية الرأس من لافح الحر ونافخ البرد

« وقد يختلف هذا الزي في القطر الواحد نفسه والبلد الواحد ولا يُعَلَّل ذلك الا بتشتت الالهواء واختلاف التربية والملابس خصوصاً في اهل قطر قضي عليه ان يكون مزيجاً من

اجيال الناس وعناصر بني آدم. حتى ظن مرة احد سباح الافرنج وهو يجول في شوارع دمشق وقد رأى اختلاف الناس في ازيائهم وهندامهم وشاهد انواع الالبسة والاكسية ان عند القوم مرفعاً (كرنفال) لبس له كل ما يغش به صاحبه لتقلب سمخته وسميته لما رأى من وجه الشبه بين سكان تلك الحاضرة واهل بلاده في اكتساء بعض ابنائها اكسية غريبة للاستضحك والمزاح في ايام معلومة من السنة

« سرى داء الازياء في اهل هذه البلاد خصوصاً المسلمين منهم فكان لباسهم مدة ثلاثة عشر قرناً وربع قرن تابعاً لقواعل الزمن وعوامل الحكام والاعظم . ومن العادة ان يتشبه المغلوب بشعار الغالب ومن العادة ان يسنّ عليّة الناس العادات ويتشبه بهم سائر طبقات القوم اذ يعتقدون الحسن والمصلحة فيما يصدر عن الكبير ويزعمون الخير في تقليده . وقد عقد ابن خلدون فصلاً في ان المغلوب مولع ابداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر احواله وعوائده فما قاله فيه « وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يقلب على اهله زيّ الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والافتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد من امم الجلالة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت » لا جرم ان تغيير الازياء جرى على ما اقتضته حالة المجتمع والسياسة والذوق الخاص بل تصرف على قاعدة بقاء الانسب وارتقاء الازمان . فان المنصور لما رأى الحاجة ماسة الى الاتحاد في لباس الرأس وكانت بدأت المدنية تدب في اعصاب أمته ودولته الزم الرعية على ما روى الذهبي بلبس القلائس الدنية مشبهة بالدين في طول شبرين تعمل من ورق على قصب وتغشى بالسواد قريبة الشبه من الشربوش . قال ابن الاثير وسنة ١٥٣ اخذ المنصور الناس بتلبس القلائس الطوال المفرطة الطول فقال ابو دلامة

وكنا نرجي من إمام زيادة فزاد الامام المصطفى في القلائس
نراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جُلّت بالاطالس

« ولما عزم السلطان محمود العثماني على استبدال البسة الجند والعمال باللباس الاوربي والاستعاضة عن العمام العجرا والقواويق بالطرايش استصدر فتوي من باب الشجعة الاسلامية

«وبعد فان تغيير العادات من شاقّ الاعمال لا يعمل فيها الاّ الاسوة والقدوة وحبّ الزينة فلا تؤثر فيها القوانين الدينية ان وجدت ولا المدنية ان وضعت . قال منتسكيو في كتابه روح الشرائع اذا اراد الحاكم تغيير عادات امة وطبائعها يجب ان يكون ذلك باستبدالها بغيرها لا بقوة القوانين لان القوانين من وضع الحاكم وخاصة به اما الاخلاق والعادات فهي من وضع الامة عامة . وضع بطرس الاكبر احد اعظم قياصرة الروس قانوناً قضى به على امة ان يخلعوا لحاهم ويلبسوا ثياباً قصيرة كالاوربيين فاقام الجند نكاح في الطرق لتقبض على من خالف هذه الاوامر ونقصر الثياب الطويلة الى قبيل الركبة . قال مونتنسكيو وتلك طريقة مجحفة لانه لم يكن من حاجة لهذا الملك ان يضع قانوناً توصلاً الى هذا التغيير بل كان يأتي له الاكتفاء بفعله هو بنفسه ليتخذهُ الناس مثلاً» انتهى

محمد كرد علي

يرى القارئ فيما تقدم كأننا نشير الى ما فعلته حكومة الجمهورية التركية من اجبارها الشعب التركي على لبس الزي الاوربي حتى في لباس الراس وما فعلته الحكومة المصرية من اجبارها طلبة دار العلوم على عدم تغيير اللباس البلدي لباس المشايخ . اما الحكومة التركية فجرت مجرى بطرس الاكبر وربما كان الاجدر بها ان تفعل كما فعل السلطان محمود ومحمد علي باشا وخلفاؤه اي ان تقبض الازياء الاوربية مبتدئة بالجند ورجال الحكومة وتجعل ذلك من قبيل الامتياز فيتبعها الشعب رويداً رويداً . واما الحكومة المصرية او وزارة المعارف فلها ان تسن القانون الذي تختاره للباس الطلبة وعلى الطلبة ان لا يخالفوا قانونها ما داموا في مدارسها وما دامت اكثر نفقات التعليم من الحكومة لا من الطلبة . ولكن لا يحسن بالحكومة ان تشترط على الطلبة الاحتفاظ بالقديم اذا كان الاحتفاظ به يمنع نفعا او لا يدرأ ضرراً كما لا يحسن بها ان تجبرهم على الاكتفاء بالآراء القديمة في الجغرافية والفلك والكيمياء والطب بل يجب عليها ان تعلمهم احدث ما وصلت اليه فروع العلم وتخرجهم فيما يؤهلهم لمساابقة امثالهم من الاوربيين وغيرهم من طلبة المدارس الاخرى . ولا يخفى ان ملك البلاد ووزراءه ورجال حكومته وجمهوراً كبيراً من الاعيان رأوا من المصلحة ان يبدلوا اللباس الوطني باللباس الاوربي فهل من الحكمة ان تسن قانون يمنع الاقتداء بهم ولا سيما اذا لم يكن في ذلك اسراف ولا خيلاء

النور وفعله في الاحياء

لا يرتاب احد فيما يجده الناس من قوة وانتعاش في نور الشمس عند الصباح ولكننا حينما نحاول تعيين الاعضاء التي يفعل بها نور الشمس وهل هذا الفعل كياوي او كبرائي نجد امامنا مسألة لا تحل الا اذا تعاون علماء الفسيولوجيا والكيمياء والطبيعات على درمها اذا وقع خط من نور الشمس على مؤشر زجاجي ونفذ منه ظهر بعد نفوذه في سبعة الوان مرصوفة الواحد فوق الآخر اسفلها الاحمر وفوقه البرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي اي ان نور الشمس الابيض يُحل الى سبعة انواع من الاشعة المختلفة الالوان وهي التي ترى في قوس قزح من انحلال نور الشمس بنقط المطر. ويظهر لدى التحقيق ان نور الشمس لا ينحل الى هذه الاشعة السبعة فقط بل الى غيرهما لا يرى بالعين بعضها تحت الاشعة الحمراء وبعضها فوق الاشعة البنفسجية. كل ذلك امواج تسير في الفضاء بسرعة واحدة هي سرعة النور فتستطيع الموجه منها ان تدر حول الارض نحو ثمان مرات في ثانية من الزمان. فالاشعة التي تحت اللون الاحمر في الطيف شمسي اشعة حرارة لا تُرى ولكن تشعر بها اعضاء الحس في الوجه والجلد عموماً. وهذه هي الاشعة التي تحت الاحمر او الاشعة المظلمة ومنها يتألف جانب كبير من القوة التي تحيئنا من الشمس. اما الاشعة البنفسجية ففوقها اشعة قصيرة الامواج جداً لا ترى تعرف بالاشعة التي فوق البنفسجي او الاشعة الكيماوية وانما يعرف فعلها بما لها من الاثر في الواح الفوتوفول مثلاً. هذه الاشعة قليلة في نور الشمس الذي يصلنا عادة لان جانباً كبيراً منها يمتص الهواء ولذلك تجدها في الاماكن العالية اكثر منها في الاماكن الواطئة والزجاج العادي الذي بوضع في نوافذ البيوت يحجبها لذلك تجدها قليلة جداً في البيوت متى اقفلت النوافذ الزجاجية. وقد وجد العلماء حديثاً ان الزجاج المصنوع من الكوارتز المصهور لا يحجب الا جانباً قليلاً منها ولذلك ينتظر ان تصنع منه شبايك المستشفيات والمصاح

يستطيع الانسان ان يتعرض للاشعة المنظورة من الطيف الشمسي من غير ان يصاب بضرر ما ولكن متى زاد مقدار الاشعة التي تحت الاحمر او الاشعة التي فوق البنفسجي عن المعتاد لسبب ما طلب الظل لان الاشعة التي تحت الاحمر تحدث ضربة الشمس والاشعة التي فوق البنفسجي تسبب حروقاً تعرف بحروق الشمس. وبسبب

التدليل على ان الاشعة التي فوق البنفسجي هي التي تحدث هذه الحروق بتعريض بقعة من الجلد لاشعة من مصباح بخار الزئبق في انبوب من الكوارتز . فتُحجَب كل الاشعة التي يتألف منها نور هذا المصباح ببطرية من الماء ولوح من الكوبلت والكوارتز ولا تُحجَب الاشعة التي فوق البنفسجي فتصوب الى الجلد فتحدث فيه حروقاً

ومن الغريب انه متى شفي حرقٌ احدثته هذه الاشعة يتلون الجلد مكانه في الغالب بلون اغنى من لون الجلد . فاذا عرضت البقعة الملونة من جديد للاشعة التي فوق البنفسجي لم تحدث فيها حرقاً وانما تحدث حرقاً فيما حولها من الجلد الذي لم يتلون بلونها فكان وجود هذا التلون يمنع عن الجلد الضرر الناجم من التعرض لتلك الاشعة . ولعل في ذلك تعليلاً لنشوء الاجناس السوداء في المناطق الاستوائية . ولا يعلم حتى الآن فعل هذه المادة الملونة في دفع فعل الاشعة الكيماوية وخصوصاً لان علماء الطبيعيات اثبتوا ان الالوان المقفولة يسهل عليها امتصاص اشعة الشمس اكثر مما يسهل على الالوان المفتوحة والاشعة التي فوق البنفسجي او الكيماوية تقتل البكتيريا وقد طبقت هذه الخاصة تطبيقاً عملياً فصار الماء يُعقم في بعض الاماكن بامرارهِ فوق اسطوانات من الكوارتز فيها مصابيح بخار الزئبق . ولا يخفى ان الكوارتز لا يحجب الاشعة التي فوق البنفسجي فيسهل تئودها واتصالها بالماء فتميت ما فيه من الميكروبات

وقد ثبت للعلماء والاطباء ان لهذه الاشعة شأناً كبيراً في نمو الاطفال وقد تصير من اقوى العوامل التي يعتمد عليها في معالجة داء الكساح الذي يصاب به الاطفال الساكنين في الاحياء المظلمة . وتدل التجارب التي يجريونها الآن على ان الاشعة التي فوق البنفسجي اذا فعلت وحدها كان فعلها اقوى مما لو كانت ممزجة مع الاشعة الاخرى التي يتألف منها الطيف المنظور ومما يشابه الاشعة التي فوق البنفسجي لاشعة اكس في الطيف الكهربائي المغنطيسي يجعل الامل كبيراً في حل ما يتعلق بفعلها البيولوجي . انما بينهما فرقان كبيران فالاشعة التي فوق البنفسجي تفعل فعلها في بضع دقائق وفعلها هذا لا يتعدى الطبقات العليا من البشرة . واما اشعة اكس فلا تفعل فعلها الا في مدة اسبوع او اكثر وفعلها يحترق الجسم لا يوقفه الاجسام كثيفة كالعظام . والاشعة التي تنطلق من الراديو لها فعل يشبه فعل اشعة اكس ولنا ملء الامل ان البحث في هذه الاشعة يؤدي الى معرفة فائدة نور الشمس على طريقة علمية عملية . ومتى عرفنا ذلك فقد يهتم اولو الشأن بازالة ما في هواء المدن من الهباء الذي يمتص الاشعة التي فوق البنفسجي المفيدة لتبقى فائدة النور تامة

آثار سقارة المكتشفة حديثاً

لا يخفى ان هرم سقارة المدرج اقدم بناءً حجري فانه بني قبل المسيح بنحو ٣٩٠٠ سنة مدفناً للملك زوسر اوتشوزر من الاسرة الثالثة المصرية . وقد ظهر حديثاً ان البقعة التي هو فيها كانت مسورة وطولها ١٥٠٠ قدم وعرضها ٩٠٠ قدم . وقد كلف المستر فرن من مصلحة الآثار المصرية منذ ثلاث سنوات ان ينقب في كل هذه البقعة فكشف فيها في السنة الماضية الهيكل الذي بني تذكاراً ليوبيل السنة الثلاثين لجلوس الملك زوسر على العرش وتمثالاً حجرياً له وكشف الآن صفّاً من الاعمدة الجميلة طوله ٢٥٥ قدماً وعدد هذه الاعمدة ٤٨ وهي من الحجر الجيري الابيض مصفوفة اثنين اثنين وكان ارتفاع كل منها اصلاً خمسة امتار وجدوعها مضلعة كأنها حزم من نبات البردي كما نرى في الشكل المقابل لا كالاعمدة التي كشفت قبلاً فان اضلاع تلك كالأقنية . وفي آخر صف الاعمدة من الشرق ومن الغرب ابواب منحوتة في الجدار قلدت بها الابواب الخشبية

ويرجح ان ارتفاع السور كان ٢٣ قدماً وفيه نوافذ وكوى لرمي السهام وهناك برجان يشبهان الابراج التي تبني في اسوار الحصون لتتمكن الحامية من صب مقدوفاتها على رؤوس العدو . ووجد هناك اربعة رؤوس منحوتة شكلها مثل شكل التماثيل المنسوبة الى ملوك الرعاة (الهكسوس) مع ان المكان الذي وجدت فيه خاص بالاسرة الثالثة وآثار الهكسوس معدودة الآن من آثار المملكة الوسطى . وهذا الصف من الاعمدة اقامه المهندس المحبوب وهو اول مهندس معماري عُرِف وقد ألهمه المصريون وعبدوه كحكام للعالم والكتبه

ووجد في ارض احدي الغرف الى شمال صف الاعمدة رسالة يرجح انها من عهد الاسرة السادسة اذ وجدت معها شقف فيها حساب خاص ببناء هرمي ميرنو وبني الثاني والرسالة مكتوبة على قرطاس من البردي وفيها شكوى رفعها مكتب الوزير من الضابط المكلف قيادة الجنود في طره وقد جاء في هذه الشكوى ان رجالاً من اتباع الوزير ذهبوا الى طره لكي يستلموا ملابسهم فأهمل امرهم واضطروا ان ينتظروا ستة ايام قبلما تمكنوا من استلامها . وقد مضى على هذه الشكوى خمسة واربعون قرناً ولها امثالها في عصرنا هذا ووجد على جدار قرب هذا المكان دفتر تركه زائر قبل المسيح باحد عشر قرناً وفيه انه اتى ليشاهد غرائب سقارة بعد ما قضى سنوات كثيرة في الحروب ولم يبق حياً من فرقته غيره



صفا الاعمدة الكليسية (الجيرية) الضلعة التي كشفت في سقارة حديثاً قرب هرم زوسر المدرج

مكتبة جامعة القاهرة ١٩٦٦

العام ١٩٦٦

اسلوب المؤرخين العرب

في كتابة التاريخ

لقد قمنا النظر في دراستنا للأساليب التي ينهجها بعض المؤرخين المعاصرين من العلماء الغربيين في تأليفهم تحقنا انهم يعتقدون أن التاريخ سلسلة حركات مستديمة متصلة يأخذ بعضها برقاب بعض فلا يعتبرون السنة مركزاً لأبحاثهم كما فعل الطبري وابو الفدا ولا يجمعون كلامهم على الخلفاء والامراء والوزراء والسلاطين كابن الطقطقي في كتابه الفخري او المقرئ او اليعقوبي ولا ينظمون عقد مؤلفاتهم في البحث على الامكنة كابن عساكر في كتابه المشهور عن دمشق او الازرق في كتابه عن مكة ولا يجمعون الاخبار والرويات التي تصف الحادثات والوقائع والفتوح ولا يرتبون الحقائق التاريخية حول المواضيع المختلفة التي لا علاقة علمية ولا منطقية تربطها بعضها ببعض

١ - الكتابة حول المواضيع المختلفة

فالمسعودي بينا تراه يصف هيئة الارض وجغرافيتها الطبيعية إذا به يسهب في ذكر الآثار القديمة من الابنية والمساكن ثم يتطرق إلى البحث عن الامم السالفة من المصريين والفارسيين والاغريقين ويستطرد خلال ذلك إلى الكلام على الانبياء والرسل حتى يصل إلى حياة الرسول (ص) والصحابة والخلفاء وهو يقر علناً بذلك في مقدمته فيقول

« أما بعد فأننا صنفنا كتابنا في « اخبار الزمان » وقد مننا القول فيه في هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وانهارها وبدائع معادنها وأصناف مناهلها واخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار واخبار الابنية المعظمة والمساكن المشرفة وذكر شأن المبدأ واصل النسل وتباين الاوطان وما كان نهراً فصار بحراً وما كان بحراً فصار نهراً وما كان بوراً فصار بحراً على مرور الايام وكروور الدهور وعلة ذلك وسببه الفلكي والطبيعي وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الاوتاد ومقادير النواحي والآفاق وتباين الناس في التاريخ القديم واختلافهم في بدئه واوليته من الهند واصناف المحدثين وما ورد في ذلك عن الشرعيين وما نطقت به الكتب وورد على الديانين ثم اتبعنا ذلك باخبار الملوك الغابرة والامم الداخرة والقرون الخالية والطوائف

البائدة على مرّ سيرهم في تغّير اوقاتهم وتضييف اعصارهم من الملوك والفراعة العادية والاكاسرة واليونانية وما ظهر من حكمهم ومقائل فلاسفتهم واخبار ملوكهم واخبار العناصر الى ما في تضاعيف ذلك من اخبار الانبياء والرّسل والافتقار الى ان افصى الله بكرامته وشرف برسالتيه محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم فذكرنا مولده ومنتشاه وبعثه وهجرته ومغازيه وسراياه الى اوان وفاته واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمان زمن ومقاتل من ظهر من الطالبين الى الوقت الذي شرعنا فيه تصنيف كتابنا هذا من خلافة النبي لله امير المؤمنين وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة» (١)

والمطالع المدقق في كتاب الكامل لابن الاثير يشهد ان المؤلف هذا حذو المسعودي فجعل مواضع الوقائع والحادثات نقطة الدائرة في ترتيبه لتأريخه وهو ينتقد الذين يذكرون الحوادث حسب السنين اذ تأتي مقطعة لا تفهم الا بعد الروية وامعان الفكر فيظهر لقارئه في مقدمته الاسلوب الذي اتبعه في تأليفه فيقول

«... اما بعد فاني لم ازل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيتها مائلاً الى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاوعها فلما تأملتُها رأيتها متباعدة في تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض فمن بين مطوّل قد استقصى الطرق والروايات ومختصر قد اخلّ بكثير مما هو آت ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات وسوّد كثير منهم الاوراق بصغار الامور التي الاعراض عنها اولى وترك تسطيرها اخرى كقولهم خلع فلان الذي صاحب العيار وزاد رطلاً في الاسعار واكرم فلان واهين فلان وقد ارخ كل منهم الى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه واضاف المتجددات بعد تأريخه اليه والشرقي منهم قد اخلّ بذكر اخبار الغرب والغربي قد اهمل احوال الشرق فكان الطالب اذا اراد ان يطالع تاريخاً احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الاخلال والاملال فلما رأيت ذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لاخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لي اراجعه خوف النسيان وآتي فيه بالحوادث والكائنات من اول الزمان متتابعة بتلو بعضها بعضاً الى وقتنا هذا..... ورأيتهم ايضاً يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ويذكرون منها في كل شهر اشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض

ولا تُفهم إلا بعد إمعان النظر فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت فأنت متنامقة متتابعة قد أخذ بعضها بوقاب بعض وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فأنني افردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فاقول ذكر عدة حوادث واذا ذكرت بعض من تبسع في قطر من البلاد ولم تطل أيامه فاني اذكر جميع حاله من اوله الى آخره عند ابتداء امره لانه اذا تفرق خبره لم يعرف للجبل به وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهور العلماء والاعيان والفضلاء وضبطت الاسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطاً يزيل الاشكال ويغني عن الانقاط والاشكال» (١)

وكان الدينوري صاحب «الاخبار الطوال» قد بدأ بذكر الانبياء من لدن آدم حتى نوصل الى البحث عن الملوك العجم والخلفاء المسلمين وفتوحاتهم والفتن التي اشتعلت نيرانها في عصورهم فهو يبني تاريخه على كل ما جرى من الحادثات المشهورة والايام المنظورة فيفصلها تحت عنوانين الاكاسرة والسلاطين والامراء فيشبه بذلك ابن الاثير في الاسلوب الذي انتهجه والطريقة التي تمشي عليها وتنبئنا مقدمته بخطته فيقول

«... فيه ذكر ملوك الارض من لدن آدم عليه السلام الى انقضاء ملك يزدجرد بن شهر يار بن كسرى أبرويز وذكر من ملك من ملوك قحطان وملوك الروم وملوك الترك في كل عصر واوان وذكر الائمة والخلفاء والحروب التي كانت مثل يوم القادسية وفتوح العراق وانصرام دولة العجم وحرب الجمل وصفين ويوم النهروان ومقتل الحسين بن علي عليه السلام وفتنة ابن الزبير وخروج الازارقة وحروبهم وايامهم وخبر الخنثار بن ابي عبيد وقصته وسبب خروجه وخروج عبد الرحمن بن الاشعث على الحجاج وما كان بينهما وذكر خلافة عبد الملك والوليد ابن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز الى انقضاء ملك بني امية وخبر الدولة العباسية وقصة ابي مسلم الى خلافة المنصور وبنائه مدينة بغداد وايام خلفاء من بعده الى انقضاء امر محمد الامين وخبر المأمون الى آخر ايام المعتصم وخبر بابك وحروبو مختصر من اليه مقتصر على الاقتصاد.» (٢)

(١) مقدمة الكامل لابن الاثير ص ٢ — ٣

(٢) مقدمة الاخبار الطوال للدينوري ص ٢

اما الامام الفقيه ابي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة صاحب كتاب «المعارف»
«وآدب الكاتب» فكان يظن ان التاريخ يشتمل على فنون متنوعة من الآداب
والمعارف فيروي لنا في كتابه (المعارف) شيئاً عن مبتدأ الخلق وقصص الانبياء
وأعقابهم ومنازلهم في المغرب والمشرق وأخبار الرسول واحوال ازواجه وأقاربه
ومغازيه ثم لا يلبث ان يتكلم عن الصحابة والمهاجرين وخلفاء بني امية والخلفاء
العباسيين والمحدثين والحكماء والنسابة والنحو بين والاخبار بين ورواة الشعر واصحاب
القرآن في ايامهم ويصف اشهر المساجد في الحجاز والعراق والشام وبتطرق بعد ذلك
الى البحث عن جغرافية بلاد العرب وما بين النهرين والسودان وعن الفتوح العربية
وأديان العرب في الجاهلية وصناعات اشرافهم واصحاب العاهات فيهم وابامهم والاقوام
التي جرى المثل بامماتهم ويخبرنا اخيراً عن الاكاسرة وعلاقة العرب التخميين بهم.
فترى ان الرجل لم يكن يضع خطة معلومة امامه حينما يكتب التاريخ بل يجمع ما تيسر
له عن كل المواضيع التي يدعونها «معارف» دون ان يكون ثمة علاقة بينها فكتابه
اشبه شيء بكشكول اخبار وهو يمثل لنا الجماع في التاريخ فبينما تراه منهمكاً بذكر بني
العباس اذا به يرجع فيصيح جغرافياً فيصف بلاد العرب ثم اخبارياً فيقص علينا ما شاء الله
أن يفعل من قصص البرص والعرج والصم والجدع والصلع والعور الخ حتى يتساءل قارئه
«تري اي علاقة لهؤلاء بمجاري التاريخ التي تصل الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل»
ولماذا لم يعطف على اصحاب الظرف والفكاهة وارباب الجمال والدعابة فيفرح قارئه بأخبارهم
ويسر خاطره باطاييب احاديثهم بدلاً من ان يحزنه بتذكيره بأصحاب العاهات. والحاصل
ان ابن قتيبة أراد ان يكتب التاريخ فكتب كل شيء وقعت عيناه عليه او سمعه او
درسه على مشايخه او ظفر به حين الدرس والمطالعة فهو يمثل لنا ذلك الجماع من المؤرخين
الذين يهضمون كل حقيقة ويأتون على كل شاردة وواردة

وهاك جانباً من مقدمته التي يصف لك بها خطته في كتابة التاريخ
«يشتمل على فنون كثيرة من المعارف اولها مبتدأ الخلق وقصص الانبياء
وازمانهم واعمارهم واعقابهم وافتراق ذرارهم ونزولهم بمشارق الارض ومغاربها
واسياف البحار والفلوات والرمال الى ان بلغت زمن المسيح والفترة بعده. ووصلت
ذلك بذكر انساب العرب مختصراً ومقتصراً على العائر ومشهور البطون ثم اتبعته

أخبار رسول الله في نسبه وذكر عمومته وعماته وجداته لآبيه وامه واطاره
 وازواجه واولاده ومواليه واحواله في مولده ومبعثه ومغازيه الى ان قبض واخبار
 العشرة من المهاجرين ثم الصحابة المشهورين ثم الخلفاء من لدن معاوية بن ابي سفيان الى
 احمد بن محمد بن المعتصم المستعين بالله والمشهور من صحابة السلطان والخارجين عليهم من
 الخوارج ثم التابعين ومن بعدهم من حملة الحديث واصحاب الرأي ومن عرف منهم بالنرفض
 والشيعة والارجاء والقدر واصحاب القراءات من اهل الحجاز ومكة والعراق والشام والنسابة
 واصحاب الاخبار ورواة الاشعار واصحاب النحر والمعلمين والمتهاجرين من الصحابة والتابعين
 وأول من احدث شيئاً بقي على مرور الايام. وذكرت المساجد المشهورة كالكعبة وبيت
 المقدس ومسجد المدينة ومسجد البصرة ومسجد الكوفة ومسجد دمشق ومتى ابتنيت وعلى
 يد من اسست ودلت على جزيرة العرب وحدود السودان والجزيرة بين دجلة والفرات
 وحدود نجد والحجاز ونهامة — واخبرت عن الفتوح وما كان منها عنوة وما كان عن
 صلح وعن جمع له العراقان وعن فرق ما بين المهاجرين الاولين والمهاجرين الآخرين
 وعن الخضرمين وعن سبب اضعاف الصدقة على نصاري بني تغلب وعن اديان العرب
 في الجاهلية وعن صناعات الاشراف في الجاهلية وعن اهل العاهات الذين كثرت فيهم
 وعن البرص والعرج والصم والجذع والجذمي والحول والزرقي والعقم والكواسيج والصلع
 والنحر والور والمكافيف وعن المنسوبين الى غير عشائرم وآبائهم وعن المسمين بكنائهم
 وعن ذكر الطواعين واوقاتها وعن الايام المشهورة مثل يوم ذي قار والفجارين وحلف
 الفضول وحلف المطيبين وحرب بكر وتغلب او حرب داحس والغبراء وعن قصص قوم
 جرى المثل باسمائهم مثل قوس حاجب وياقل وقرطا مارية وخريم الناعم وحمام ساباط
 وشقائق النعمان وحديث خرافة وبرجان العص وسحبان ودائل الخطيب وطفيل الذي
 ينسب اليه الطفيليون ومواعيد عرقوب وخني حنين وعطر منشم واخبرت عن
 ملوك الجيرة والردافة وعن ملوك فارس ملكاً وملكاً ومددهم وجمل من سيرهم (١) »

انيس زكريا النصولي

دار المعلمين — بغداد

الصراع

نُتمة القصة التي نالت جائزة المقتطف الثانية

٥

الليل مرخ سدوله القائمة والطبيعة ممسكة انفاسها وماء النيل العظيم يتواردي سكون
مترقب والقمر مرهف ينصت من بين الغيوم الى حديث شاب وشابة قد اتخذوا من اجار
خزان اسيوط مقعداً رأيا ايجاره الصلدة ارق من قلوب البشر وطمعا من صمته الخالد في
حارس امين على اسرار سلطان الهوى يتحكم في الارواح و يتصرف في القلوب

و كانت الشابة مثالا للجمال الشرقي الاسمر الجذاب الذي يوقظ نفوسنا ويستثير فينا
ذكريات مبهمه عذبة جميلة عن الغواني الحسان اللواتي انسين سليمان حكمته وضيعن على ثمنون
قوته وسلبن انطونيوس نفوذه وسلطته..... تلك الدمى من البلور اللدن والعاج البض الزينة
بشفاه مصبوغة بدماء الحياة وخمرها واسنان بهية كهخخور الشواطيء البيضاء غسلتها الامواج
وسكبت تحت اقدامها كل ما كان فيها من عزم وابهة وجلال — او عيون مسكرة نرى
في نعاسها ليالي ساهرة تشوى مملوءة بالذات كليا لي الف ليلة وليلة، وحواجب اشرفت على
العيون فابتليت بغرامها فتراها دقيقة كالمضى يبسط ذراعيه ليطوق محبوبه ثم يرجعه التزبه
والنقدليس ويمنع الخجل والضعه فيبقيها مبسوطتين رمزاً للحب الابدي اليائس، وفوق
الجميع تاج من الشعر الاسود تسكنه الاحلام والاماني حالك طويل كليل الصب لدت
متن كالنسيم المعطر الراقص بين الاودية مهيب عزيز كبدة الاسد، ورثت من امها حواء
السحر والفطنة اللتين غلبت بهما ربها على امره يوم ان استلبت من يده ذلك المخلوق الذي
براه على صورته ومثاله ليحمله بهجة نفسه وقره عينه، يوم ان استدرجت الرجل وخرجت
به الى العالم المتسع تاركة الجنة بجرامها ذوي السيوف النارية المتقلبة مظهر الغضب الجبار
بعد ان كان بالرجل والمرأة العريانيين مظهرأ لحب اللطيف ورحمته : فتاة من ذلك الجنس
الغريب الذي ضعفه مظهر قوته وتجنه دليل وداده وتملقه برهان كراهته — صوته يحدك
بصوت اعلى من ضجيج العاصفة ، وحديثه غرار كالسراب مبهم كالصدى خوان كالقصة
المرضوخة . وكان رأسها الجميل مستقرًا علي صدر الشاب كالامل العذب في صدر الفتاة

وكانت ذراعاهُ القوية تمنطق عنقها اللدن كما تمنطق التيممة الفعالة عنق الصبي المدلل —
 اما الشاب فقد كان رمز الرجولة .. قوام ممتلئ ممشوق ، وعنق قوي غليظ ، يحمل وجهها
 كبت عليه آية العزم الذي لا يلين والصبر الذي لا ينفد والشجاعة التي لا تعرف الخوف
 نستطيع ان تستشف من ملامحه سمة الشعب التركي الباسل

طال الصمت وضجر القمر المنصت من بين الغيوم فبرز والقي على الحبيبين تلك الغلالة
 الرقيقة المسحورة التي تظهر خفايا متسرلبها ورفعت الفتاة رأسها عن صدر رفيقها ، كأنها
 استأست بشيئها ، وارسلت زفرة حترى نقطعت لها نياط قلب الشاب ، فاختطف اصابعها
 اللدنة ، وابقاها بين يديه القويتين كأنه يحميها من خطر يراه بعيني روحه ، وقال وهو
 يتكف رمم صورة الجلد والاستخفاف على وجهه المتعب المضطجع — ما لك واي الناس
 نضو مشاربه ؟

ادارت الفتاة رأسها ببطء ، وعيناها تبحثان عن عيني رفيقها ثم قالت — انت تريد ان
 تفصل كلوم قلبي بدماء قلبك التي اسالتها السكين ، التي قطعنا معاً . وان تطفيء لهب
 روحي بمراد روحك الذي خلفته النار التي تحرقنا معاً لكن الميت لا يحيي الميت
 والسم لا يشفي من السم

وقف الشاب تمثالاً للغضب اليأس وصاح بصوت كرنير الاسد المحبوس — لو كان
 الرجل جرؤاً ان يرفع بصره الى بهائك ، رجلاً غير أبي اذن لاعتصرت قلبه بيدي الى ان
 ازبل حتى ذكريات حبك من نفسه ، ولسحقت رأسه بقدمي الى ان امحو حتى رسمك
 من مخيلته ... ولكنه أبي — ابي الذي احبني ويحبني فلا يستطيع ان اكرهه
 انه أبي ابي ابي !!!

— نعم هو ابوك ابوك الذي تحبه اما انا فما انا انا المرأة التي فحمت اذنيها لصوت
 قلبها ، فاحبت الرجل الذي عينته ، فعند هذا جرمها عليها تعاقب من اجله بان تدفع الى
 ذراعي الاب بدلاً ان ترتقي على صدر الابن ، وان تكره على لثم الرأس الاشمط ببياضه
 الشائع بين سواده كخناجر مشهورة في الظلام ستغمد في قلبها ، بدل ان تتمتع بالتهالك
 على نقيل الشناه التي اسمعت قلبها النشيد الذي لقنه الله لآدم يوم ان سلمه حواء ، الذي
 برده العصفور لاليفته وهما محتبثان بين اوراق الربيع ، النشيد الحلو الذي يربط الرجل
 بالمرأة ... فاذا هما كل لا يقبل التجزئة وبعض يهلكه الله

— هدى... حياتي... لا تعذيني انت تعلمين اني احبك بمجموع قلبي... ..
 وهل شككت انا في حبك ؟ لا ولن اشك لكن اسمع خطتي... .. فان يحببتك قلبي.
 ساء كون عروسك او عروس القبر
 — وساء كون عريسك او عريس الابدية
 وكانت قبل خرساء وعهد مكتوب بالدموع المنسجمة في اسي صابر معزم

٦

الساعة العاشرة مساءً والليل ساج ساكن لا يسمع فيه الا صوت المقرئ الحلو
 يرتل آي الذكر الحكيم . وكان قصر جلال بك منتصباً في الظلام كارد طويل يظهر
 النور من خلال نافذتين متجاورتين فيه . الاولى نافذة جلال بك والثانية نافذة ابنه
 عصام — وكان جلال بك جالساً امام مكتبه ويده ورقة طويلة بها اسماء مزارعي
 الناحية وامام ثلاثة اسماء منها علامات خطت بمداد احمر — هؤلاء الثلاثة هم الذين كان
 يخشى جلال بك ان تبلغ بهم الجسارة حدّاً يخرجون فيه عن ارادته في الاجماع على
 انتخاب امين باشا... رفع جلال بك نظره عن الورقة وحوّله الى سقف الغرفة ثم قرع
 الجرس قرعاً شديداً متواصلاً...

استدع سيدك عصاماً
 وكان عصام امام مكتبه معتمداً رأسه بيديه وفي عينيه بريق مرعب وقد انغمس
 على جبينه القنوط الميت جنباً الى جنب مع العزم المستميت
 — سيدي البك يريد مقابلتك طيب

— وقف عصام ويده على جبهته المتهبة وهو يقول .. أيتها السماء ادخري قوتك
 لي ، ايتها الارض اعبريني ثباتك واستقرارك ، ايها الجحيم اخلع علي استارك وتلك
 — عم مساء يا ابتاه — نعمت مساء يا عصام .. اجلس . تهالك عصام على اقرب
 كرسي اليه وقلبه مضطرب خافق لانه احس بعصا القدر تسوقه الى مصير مجهول . رأها
 ثقلب العاصفة لتقيمها في وجه العاصفة ، وتدير رأس الموجة لتسوقها الى الاصطدام بالموجة ،
 وتحول الاسد عن طريقه لتحمله على الاصطدام مع الاسد
 وأحس عصام في تلك الساعة انه بطل ، لانه كان يدافع عن الحرية التي تعلم ان
 يقدسها ويعبدها ، وعن الحب الذي كرس حياته له ، وعن البنوة التي تحمله ان

تدفع الطعنة الموجهة الى صدر امه، امه التي كان رأسه الملتهب ملقى على صدرها المضطرب من ساعة واحدة وينظر الى وجهها الجميل الحزين كورود الضريح، البهي المختنق كشمس الغروب، الثابت المتألم كأيمن الشهيد، يسمع صوتها الحلو تقطعه الزفرات والقبل، يهمس في اذنه « قلبي معك يا عصام والضربة الموجهة الى رجولتك ستمر اولاً على انوثتي . ابوك زوجي رأى فتاة هي حبيبتك فاجبته ، وانت رأيت رجلاً هو ابوك يسطو على حمامتك فانت ستنقض عليه ويد القدر سلحت الاب بالشهوة وسلحت الابن بالغيرة وساقتهما في الظلام ليقتتلا ، واخشى ان يرفع الستار فاذا مديّة الاب في قلب الابن ومديّة الابن في قلب الاب وتبقى الام الزوجة وحدها ، تدعو لقاتل ابنها وتترحم على الفانك بزوجها . انا لا استطيع ولا اريد ان اقف في وجه ابيك ومع ذلك فان الخمس وعشرين سنة التي قضتها روحي في التفاهم مع روح ابيك تمكّنتني من ان اقول بثقة ان اباك ليس شريراً . انه يثور حتى لتجسبه سيحرقك حياً ، ثم يذوب حتى لتراه سيغرقك رأفة ، وكثيراً ما استنزل بهول غضبه دموعي ، ثم مسح بقبيلات ندمه عبراتي نعم ابوك ليس شريراً وفوق ذلك هل نسيت وجود الله ؟ »

انتبه عصام فجأة من احلامه على صوت ابيه يقول في عزم :

— انك سترافع غداً في قضية احمد محمد عسران ؟

— نعم

إذا فلا تذهب بل كلف من يطلب التأجيل . لكن . . . لماذا ؟

وقف جلال بك ويداؤه وراء ظهره واخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً ووقف عصام صابراً متلهفاً مستعداً - استدار جلال بك فجأة وقال - سينجح امين باشا في الانتخابات لاني اعونه ، وانت تعلم ان عسرانا قد تبلغ به القحة حدّاً قد يفكر معه في الخروج على امري في انتخاب امين باشا فانا اريد ان تكون قضيتة لجاماً يضمن لي تسييره وفق ارادتي - لكن هذا لا يتفق مع مبادي الحق والعدل وانا

هاج هائج جلال بك فضرب المنضدة بقبضة يده ثم قال - الحق والعدل !!! . . . ثم استطرد في غضب مكظوم - اعبد حقك وعدلك كما تشاء لك نفسك الطائشة وعقلك الفج ولكن بعد هذه المرة اسمع ، اني عازم على الزواج بهدى ابنة امين باشا ومقابل ذلك سينجح امين باشا في الانتخابات وانا واثق انك لا تريد ان تقف في سبيل مسرة نفسي ايه ؟؟؟

أني اضحي بجيأتي لاطبع ابتسامه على شفتيك ، واسفك دمي لا غسل كدر أعين
قلبك ، ولكن المسرة التي تطلبها ستجنح في وجهها حرية الوف من البشر لم حق في
الحرية ، وستسلب من زوجتك ابي حبا استحقته بتضحياتها وودادها واحتمالها خسا
وعشرين سنة

— ايها الكلب اخرس ... اخرس ...

— وفوق ذلك فهي لا تعوضك عن قلب ابي قلبا آخر لان هدى حبيبتي وانا حبيبها
وقلبها لي وحدي

اخرس أخرس ايها الكلب ... اقتلك ...

برح عصام غرفة ابيه رافع الرأس هائل المنظر واغلق الباب وهو يمت « انا لست كلبا »



مرت على جلال بك ساعتان طويلتان وهو يذرع غرفته جيئةً وذهاباً كالاسد
المحبوس ينقل يده من رأسه الملهب بنار الغضب والشهوة ليضعها على قلبه الخافق بعواطف
الابوة والحب . تركض امامه في الغرفة الضيقة ثلاثة خيالات غريبة الاول عصام
شبهه برأسه المرتفع وعينيه القويتين يصيح فيه « ستخسر قلب زوجتك وقلب ابنك
وستكسب فقط كراهة الالوف من الناس ، اما قلب هدى فلي وحدي » والثاني خيال
« جميلة » الزوجة الوفية بوجهها الجميل الصابر المؤمن تهمس في اذنه « ارجع الي بازوجي »
الخيال الاول يستثير فيه عاطفة الابوة والخيال الثاني يزي فيه عاطفة الزوجية
اما الخيال الثالث فلفتاة فتانة ساحرة تحيط برسمها الغيوم الزهية يستثير فيه عاطفة الشهوة
ان صح ان نسميها عاطفة .. فكان وجه الرجل مسرحاً لصراع الشر مع الخير
لصراع الشهوة التي ستأسر قلبه وستأسر من ورائه ارادة الوف ، مع الزوجية والبنوة وما
يتلوها من سعادة وحرية ، وكان صراعاً قوياً في نفس قوية وان لم تتصارع العواطف
في نفس جلال ففي اي ميدان تتصارع

— هو يقول انه يضحى بجيأتيه ليطبع ابتسامه على شفتي و يسفك دمه لبغسل مما
عن قلبي ما اكذبك !!! ألم يقف في وجهي انا ابوه ألم يثر على ابيه في سبيل
فتاة ؟ لكن ان كنت انا وانا الكهل قد دست في سبيل الشهوة التي موضوعها
هذه الفتاة زوجتي وابوتي فلماذا الومه لانه في سبيل حبه للفتاة عينها وبنوته لانه قد ناز
على ابوته ؟ لكن هل استطيع ان اصنع عن وقاحته ؟

ارتخي جلال بك على المقعد الاقرب مجهوداً وهو بنمغم « انهما متحابان » ثم وثب فجأة لفكر هائل طرأ عليه وهو يصيح عشيق زوجة ابيه ، الفاجر ، الفاجر ثم ارتنى على مقعده مرة ثانية وهو يقول ولكنها ليست زوجة ابيه ومن قال انه عشيقها قد يكون حبيبها فقط وهل تزوجت انا جميلة الا بعد ان احببتها اولاً ؟ ثم وقف ورأسه ولتهب طافح بالخيالات والهواجس وفتح النافذة وهو يقول

« ابنتها السماء اتقذيني من هذه الافكار »

دخل هواء الليل البليل يحمل على اجنحة الخفية صوت المقرئ الرنان يرتل من القرآن الكريم

« وان خفتم الا تعدلوا فواحدة »

وهكذا استجاب السماء دعوة جلال بك في اسرع مما كان ينتظر

٨

عاد عصام الى المنزل في الساعة التاسعة مساءً فانبأه البواب ان اياه ينتظره بمنزل امين باشا وكان عصام يعرف ان هذا المساء هو آخر المهلة بين جلال بك وامين باشا ولكنه مع ذلك سار الى منزل امين باشا وهو يقول « اذن سأكون شاهداً في حفلة زواج ابي بحبيبتى ولم لا ؟ ! ما دام الانحار سيخلصني من آلامي كلها فلا شرب الكأس حتى الثالثة

وكان جلال بك قد وصل الى منزل امين باشا قبل وصول عصام فاستقبله الباشا في بشر ضعيف مستغر

— خير ان شاء الله يا باشا — كنه خير يا بك —

— عظيم لكن هل حضر العريس ؟

رفع امين باشا رأسه وهو لا يفهم ماذا يقصد جلال من التعمية ولكن قال وهو يشير اليه في انحاء خفيف

— أجل حضر محفوقاً باليمن والاقبال

— اذا اين هو . اني لأراه ؟

امتلات عينا امين باشا دهشة ورأى ان هناك شيئاً غير التعمية

وسأله نفسه « هل جن جلال بك ؟ » ثم سأله في لهفة « عمن نكحتم ؟ »

— عن العريس عصام ، عصام الذي ستزف اليه ابنتك بعد ان ارتبط قلباهما
برباط الحب

— عصام !! عصام !! ولكننا

— نعم عصام . هل ترفض عصاماً زوجاً لابنتك ؟ انني قوي ولكن قوتي
قد خاتني لما حاولت ان اسلب ابني وزوجتي سعادتهما قد عدلت عن كل
افساري هل ترفض عصاماً ؟

— انا انا لا ارفض ولا هدى ايضاً ترفض

— اذن فليتمتع الشباب بالشباب

— ارتقى امين باشا على مقعدوه وهو يرتجف غبطة ثم وقف وقال « فليتمتع
الناس بحرية الانتخاب » وفي تلك اللحظة دخل عصام وحيماً وظل واقفاً فقال ابوه اجلس
لا . هنا قريباً مني . مالك نافر الست راضياً عن عروسك

رفع عصام عينيه الى عيني ابيه وفيهما من الالم والغضب اكثر مما فيهما من الدهشة
والذهول ثم ارخاهما في بأس حزين وهو يكرر
« ما دام الانتحار سيخلصني من كل آلامي فلا أشرب الكأس حتي الثمالة ولا تخجل حتى
السخرية المرة »

جلال بك مالك متهدل هكذا ؟ ألم تصرح لي البارحة انك تحب هدى وان
هدى تحبك وها قد قبل سعادة الباشا ان يزفها اليك فما لك لتتلقى الخبر بهذا البرود ؟
ثم استطرد مداعباً : وأين حماس الامس ؟ !!

رفع عصام عينيه الى امين باشا فراه يتسم وفي تلك اللحظة سمع تأوهاً اعقبه سقوط
جسم شخص كان ينصت من ثقب الباب وعلم عصام صوت المتأوهة وادرك الحقيقة كاملة
فوثب الى الباب كالجنون وتبعه الرجلان فاذا هدى مغمى عليها بين ذراعي عصام واذا
عصام يوسعها قبلاً واذا الرجلان يبكيان بصوت عالٍ

وهكذا نخت الشيوخوخة وبرز الشباب فاندحرت الشهوة وانتصر الحب وسقط
الاستعباد وقامت الحرية

وانتهت المعركة كالأعصار .. جبار قصير الاجل
وكانت الملائكة تصفق في السماء وكان الحق يتسم على العرش

النثر العربي في نصف قرن

الرأي الشائع بين المحافظين من اهل الادب العربي واصحاب العلم به ان النثر ايسر من الشعر وان اصطناعه شيء سهل لا يكلف صاحبه عناء ولا مشقة ، وهم من هذه الناحية يقدمون الشعر على النثر ولهم في ذلك مباحث طوال وكلام كثير تستطيع ان تلوه به اذا نظرت في كتاب العمدة لابن رشيق وما يشبهه من الكتب . وما اظن ان رأي الادباء تغير في هذا الموضوع فهم ما يزالون يعتقدون ان الشعر اعسر من النثر وابتعد منه متناً ، ثم ما يزالون يعتقدون ان النثر اقدم من الشعر وجوداً ، وهم معذورون فظواهر الاشياء كلها توهم ذلك وتحمل على الجزم به . فالنثر مطلق لا قيد فيه والشعر مقيد بالوزن والقافية والنثر مشبه في اطلاقه لكلام الناس في حياتهم اليومية وحوارهم المألوف . واذن فالناس يتكلمون نثراً وهم يتكلمون قبل ان يشعروا وهم لا يجدون مشقة في الكلام وهم يجدون في نظم الشعر مشقة وعناء واذن فالنثر اقدم من الشعر وايسر وادنى مثلاً .

ومن هنا يقسم مؤرخو الآداب العربية كلام العرب الى منظوم ومنثور ومسجوع ، وهم يرون ان النثر كان في العصور القديمة أكثر من الشعر ولكن ما حفظ من قديم الشعرا أكثر جداً مما حفظ من قديم النثر ، وتعليل هذه الظاهرة لاعسر فيه فالشعر اشد عسراً من النثر في الانشاء ولكن الشعر ادنى الى الحافظة واسلس لها قياداً من النثر ، اليس القيود التي تأتيه من العروض والقافية ثقله من الحافظة وتجعل في استظهاره لذة وراحة لا نجدونها في استظهار النثر ؟ فاذا كان ما نرويه من نثر العرب قبل الاسلام قليلاً فليس ذلك لانهم لم ينثروا بل هو لانهم لم يكونوا يكتبون ولان حافظتهم لم تكن تطاوعهم الى حفظ النثر واستظهاره فضاع نثر العرب الجاهليين الا اقله وبقي شعر العرب الجاهليين الا اقله كذلك كان يقول القدماء وكذلك ما يزال يقول المحدثون . ولكن شيئاً من التفكير والنظر في آداب الامم المختلفة يضطرنا الى ان نعدل عن هذا الرأي القديم ، فمن العجيب ان نثقف الامم كلها على ان تحفظ من شعرها القديم أكثر مما تحفظ من نثرها في عصورها الاولى ، ومن العجيب ايضاً ان نثقف الامم كلها في ضعف الذاكرة عن النثر وقوتها على الشعر . ومن العجيب بعد هذا وذاك ألا تضعف ذاكرة هذه الامم إلا عن النثر القديم ، فاما النثر الذي يظهر بعد ان تبلغ الامة من الرقي العقلي والمدني طوراً ما فان ذاكرتها

نقوى عليه وتنهض باستظهاره كما نقوى على الشعر وتستظهره . الحق ان الام اذا لم تزو شيئاً من نثرها القديم فليس لذلك سبب الا انها لم يكن لها نثر في اطوار حياتها الادبية الاولى واذا روت كثيراً من شعرها القديم فلانها كان لها شعر في اطوار حياتها الاولى هذه اي ان الشعر اسبق الى الوجود من النثر وانه ايسر منه وادنى منالاً . واثبت اذا نظرت في تاريخ الام القديمة والحديثة واذا نظرت في حياة الام التي لم تكد تلخص بعد فستري انها كلها تسبق الى الشعر ولا تهتدي الى النثر ولا تظفر به الا بعد زمن طويل وجد غير قليل ورقي في الحضارة وتقدم في الحياة العقلية لا بأس بهما ، تجد ذلك عند اليونان وتجدّه عند الرومان وتجدّه عند العرب وتجدّه عند الامم الاوربية الحديثة وحيثما وجهت في القبائل التي لم تستقر بعد فستري كلاماً منظوماً له اوزانه وقوافيه دون ان تجد لها هذا النثر الذي يظن رجال الادب انه اقرب من الشعر منالاً . ذلك ان النثر ليس اقرب من الشعر منالاً في حقيقة الامر ولعل حظه من العسر ليس اقل من حفظ الشعر ان لم يكن اكثر منه . فالنثر لغة العقل والشعر لغة الخيال ، والخيال اسبق الى النمو في حياة الافراد والجماعات من العقل ، خيال الصبي والشاب اقوى من عقله وخيال الجماعات غير المتحضرة اقوى من عقلها فليس عجباً ان يتكلم الخيال قبل ان يتكلم العقل وليس عجباً ان يوجد الشعر قبل ان يوجد النثر وليس عجباً ان يكون الشعر ايسر نغاطياً وادنى تناولاً من النثر . فالخيال ، ان يتقيّد بالوزن والقافية حين يتكلم فهو لا ينقيد بشيء آخر . هو حر طلق يمضي حيث يشاء ويصور الاشياء كما يشاء لا كما تشاء الاشياء او لا كما تشاء الطبيعة ، اما العقل فقد يطلق نفسه من قيود الوزن والقافية ولكن ما انقل القيود والاغلال التي تأخذه وتعوقه عن الحركة ولا تأذن له بالنقدم الا في بطء واثابة ، هو لا يطير ولا يحسن ان يطير وهو لا يعدو ولا يستطيع ان يعدو فاذا حاول الطيران او العدو فليس هو العقل الخالص وانما هو العقل قد غلب عليه الخيال ، هو لا يطير ولا يعدو ولكنه يسعى في هدوء ، وهو لا يصور الاشياء كما يشاء ولكنه يقبل صورها كما هي ، هو مقيد والخيال مطلق وهو بطيء والخيال سريع ، فليس عجباً ان يتأخر نموه عن نمو الخيال وليس عجباً ان يكون انتاجه اعسر واقل من انتاج الخيال وليس عجباً آخر الامر ان يكون النثر الذي هو لغة العقل احدث وجوداً من الشعر الذي هو لغة الخيال ولكن مالي ولهذا كله واين انا من الموضوع الذي اريد ان اكتب فيه وهو النثر العربي في هذا العصر الذي نحن فيه ؟ وما هذه المقدمات الطويلة ؟

البس القاريء يحسّ اني اظيل عليه واثقل في غير نفع ولا جدوى؟ بلى. ولو كنت من اصحاب الخيال لما اطلت ولا اثقلت ولا احتجت الى مقدمات فالخيال كما قلنا خفيف حر بأني حيث شاء وكيف شاء ولكني اريد ان اكتب نثراً اي اريد ان احمل عقلي على ان يتحدث الى عقل القاريء وقد قلنا ان العقل رزين بطيء لا يطير ولا يعدو ولكنه يسعى في اناة فليسع القاريء معي في اناة ايضاً ولينتقل معي من كل هذه المقدمات الى حيث اريد ان انتقل به ليلاحظ ان هناك صلة قوية جداً بين الحياة العقلية وحظ النثر من القوة والضعف، من الرقي والانحطاط، من البرد والحر والفتور. متى بلغ النثر اليوناني اقصى ما استطاع ان يبلغ من الرقي؟ في عصر سقراط وافلاطون. ومتى بلغ النثر العربي اقصى ما كان يستطيع ان يبلغ من الرقي؟ في عصر ابن المقفع والجاحظ واشباههما اي ان رقي النثر كان عند اليونان والعرب رهيناً برقي الحياة العقلية وانبساط سلطان الفلسفة على العقول وهو كذلك عند الرومان وهو كذلك في امم اوربوا الحديثة وهو كذلك في مصر ان الذين يريدون ان يؤرخوا الآداب العربية في هذا العصر الحديث خليقون الا بقطعوا الصلة بين الادب والعلم والا يظنوا ان الحياة الادبية تستطيع ان تستقل استقلالاً تاماً عن الحياة العلمية بل هم خليقون ان يعتقدوا ان ليست هناك حياة ادبية وحياة علمية وانما هناك حياة عقلية واحدة تظهر مرة في شكل ادبي هو النثر الفني وتظهر مرة اخرى في شكل علمي هو هذا النثر الذي نبجده في كتب العلم الخالص. اقول ان الذين يدرسون تاريخ الادب في هذا العصر الحديث خليقون ان يقدروا تأثير العلم والفلسفة في هذا الادب وفي النثر بنوع خاص، فليس يمكن ان يكون من اثر المصادفة وحدها ان تطرد الصلة بين الرقي العلمي والفلسفي ورقي الآداب عامة والنثر منها بنوع خاص، وفي الحق انك حين تقرأ هذا النثر الذي كان يكتب في الشرق العربي في اول القرن الماضي لن تشعر بالفساد الفني الادبي وحده ولكنك ستشعر قبل هذا بخلو ما تقرأ من المعنى القيم وباعداد هذه العقول التي يترجم عنها هذا النثر وستشعر بعد هذا بما ينتج عن اعدام هذه العقول وفقرها من الفساد الفني الذي يتصف به النثر العربي في كل العصور التي ضعفت فيها الحياة العقلية الفلسفية

لا يبعد عنك ما ترى من هذه الزينة اللفظية والبهرج البديعي والبياني من سجع ونكف في الاستعارة والحجاز وفي التشبيه والكناية والتورية وما اليها فليس هذا كله الا تكلف المعدم البائس يريد ان يظهر مظهر الغني المثري. انما مثل هؤلاء الكتاب

الذين يتكفون الوان البديع والبيان في غير فائدة ولا جدوى مثل هذه المرأة اعوزها
الجمال الفطري فهي تتكلف الزينة ، واعوزها حرّ الحلى فهي تجدع الناس بهرجة زائفة .
ومن هنا تستطيع ان تلاحظ ان النتيجة القيمة التي جاء بها القرن الماضي في النثر العربي
انما هي اطلاق النثر من هذه القيود البديعية والبيانية وهو لم يطلقه من هذه القيود عبثاً
وانما اطلقه منها لان منحه هذا الروح القوي الذي مكّنه من ان يستقل بنفسه ويستهيوي
العقول والالباب قليلاً قليلاً وهذا الروح القيم الذي بث الحياة في النثر العربي
والتي عنه هذه اللغائف البالية التي كانت تثقله وتعوقه عن الحركة انما هو المعنى وهذا
المعنى انما جاء من الحياة العقلية التي انشطها العلم والفلسفة في القرن الماضي . وليس ادل
على صدق ما نقول من انك تنظر قترى انطلاق النثر من هذه القيود وبراءته من هذه
الاغلال لم يأتيا عفواً ولم يتما فجأة وانما كانا رهينين بوجود الصلة ونموها بين الشرق
والغرب اي بين العقل المعدم والعقل الغني . مؤلم جداً هذا الشعور الذي تجده حين
نقرأ الجبرتي وامثاله من الذين كانوا يكتبون في اول هذا العصر الحديث ولكن توسط
القرن الماضي واقرأ ما كان يكتب في مصر والشام فستجد شيئاً من اللذة يشوبه شيء
من الالم كثير ذلك لانك نقرأ كلاماً يدل على شيء ويريد بنوع خاص ان يدل على
شيء ولكنه لا يكاد يبلغ ما يريد لان حظه من المعنى قليل من جهة ولأنه لم يستطع
بعد ان يخلص من تلك القيود والاغلال من جهة اخرى . ثم صل الى الثلث الاخير من
القرن الماضي واقرأ ما كان يكتب في مصر والشام ايضاً فسيعظم حظه من اللذة
وستشعر بشيء من الالم ولكنه ليس هذا الالم الذي تجده حين تشهد البؤس والاعدام
وانما هو نوع آخر من الالم تجده حين تشهد التكلف والتصنع وحين تحس ان هذه المعاني
لو اطلقت من قيودها وارسلت على سجيبتها لحدثت في نفسك من البهجة واللذة ما لا
تستطيع ان تحدثه وهي مثقلة بما يحيط بها من لغائف البديع والبيان . كل هذا يدل على
ان النثر العربي قد كان ثقيلاً بغيضاً اول القرن الماضي لانه كان قليل الحظ من
الحياة العقلية لا اثر فيه لشخصية الكاتب ولا لتفكيره او قل لانه كان فقراً كثر
اثرى العقل الشرقي شيئاً فشيئاً فدبت الحياة في النثر بمقدار هذه الثروة العقلية واخذ هذا
النثر كلما احس حيائه وقوته يجتهد في ان يخلص نفسه من قيود الفقر واغلال البؤس
حتى انتهى الى حيث هو الآن من حرية وانطلاق . فالنثر اذن مدين في هذا العصر
بحريته وانطلاقه ورفقه الفني كما كان مديناً في غير هذا العصر بهذه الاشياء كلها

والفلسفة وما احدثنا من تنشيط العقل وردو الى اليقظة بعد النوم والى الحركة بعد الجمود. ومن الحق على الكتاب المجيدين ان يعرفوا ما للعلماء والفلاسفة عليهم من فضل وان يقدرُوا ما للذين نقلوا الهمم العلم والفلسفة عندهم من يد، فاولا المترجمون في العصر العباسي ما عرفت العربية نثر ابن المقفع والجاحظ، ولولا المترجمون في هذا العصر الحديث ما عادت للنثر العربي حياته القوية الشيطنة التي نريد ان نتحدث عنها بعض الحديث

اخشى ان اكون مسرقاً بعض الشيء. فان حياة النثر العربي في هذا العصر لم تأت كلها من قبل العلم الحديث والفلسفة الحديثة وانما جاءت من قبلها ومن قبل شيء آخر هو الادب العربي القديم في عصوره الراقية. فقد كان الكتاب واهل العلم في اوائل القرن الماضي يجهلون او يكادون يجهلون قديم العرب وما كان لهم من شعر جيد ونثر رائع، وكان الذين يلون منهم بهذا الادب القديم لا يكادون يفهمون ما يلون به على وجهه وكانوا لا يحاولون ان يتأثروا او يحتذوه. اما الآن فقد تغير هذا كله وعرف الادب العربي القديم وعادت الحياة الى الشعر العربي والنثر العربي فنحن نقرأهما ونحفظهما وننقدهما ونتأثرهما ولهذا كله حظ عظيم من التأثير في جودة ما نكتب من نثر وما ننظم من شعر. ولكن ما الذي رد الحياة الى الادب العربي القديم وما الذي ذكر كتاب الشرق وشعراءه بهذا الادب وما الذي حملهم على قراءته وروايته وتقديمه واحذائه؟ انما هو هذا الروح العلمي الذي جاءنا من الغرب ونقله الينا المترجمون. هذا الروح العلمي هو الذي أنشط العقول وحملها على ان تفكر في القديم والحديث وعلى ان تغدو نفسها بهما معاً. واذن فانا لم اسرف ولم اتجاوز الحق حين رأيت اننا مدينون بحياة النثر لهؤلاء المترجمين الذين اوجدوا الصلة بين الشرق النائم والغرب اليقظ. ولقد احب ان اعرف حظ البلاد الشرقية في ايجاد هذه الصلة الخصبة القيمة بين الشرق والغرب فلا اجد في ذلك مشقة ولا عسراً. فالبلاد التي ردت الى الشرق حياته العقلية والادبية في هذا العصر هي بعينها البلاد التي احيت الشرق في العصور الاولى حياة قوية مطردة لا عارضة ولا متكلفة. نعم لم يستمد الشرق العربي حياته قديماً من شمال افريقية ولا من جزيرة العرب بل لم يستمدّها من العراق وانما استمدّ حياته الصالحة الخصبة في نظام واطراد من مصر والشام. من هذين القطرين ازهرت الحضارة الشرقية الخاصة، ومن هذين القطرين انبعثت الحضارة الى اطراف الشرق وفي هذين القطرين اثمرت الحضارات الاخرى التي نشأت من غيرهما وسيطرت على الشرق حيناً طويلاً او قصيراً كحضارة اليونان والرومان والعرب،

والى هذين القطرين لجأت الحضارات الشرقية وغير الشرقية حين ضاقت بهما البلاد
الآخري فوجدت فيها ملجأً أميناً ومأوىً حصيناً . نعم وفي هذين القطرين نشأت النهضة
الشرقية في هذا العصر الأخير . نشأت في مصر ونشأت في الشام أوائل القرن الماضي
واستبق القطران فيها استباقاً عظيماً حتى أصبح من العسير ان نحدد الحظ الذي ظفر به
كل منهما في هذه النهضة . فبينما كان أمراء مصر من الأسرة العلوية يجردون في انهماض
مصر وتقوية الصلة بينها وبين الغرب وارسال الوفود العلمية الى اوربا واستقدام العلماء
الاوربيين الى مصر واقامة المعاهد العلمية المختلفة ونقل الكتب في الوان العلوم والفنون
كان المسيحيون من اهل الشام يتصلون باوربا اتصالاً قوياً لاسباب مختلفة منها السياسة
ومنها الدين ومنها العلم . وكانت تحدث في بلاد الشام حركة مشبهة جداً لهذه الحركة
التي كان يستحدثها الأمراء في مصر وكانت تنتج عن هاتين الحركتين في مصر والشام
نتيجة واحدة هي نشاط العقل الشرقي واستئنافه الحركة والحياة . ولكن من الحق ان
نلاحظ ان مظهر النهضة كان في مصر علمياً عملياً او اقرب الى العلم والعمل منه الى اي
شيء آخر بينما كان مظهر الحركة في الشام اقرب الى الادب واللغة وادنى اليهما منه الى
اي شيء آخر . فانت تستطيع ان تجد في مصر في اثناء القرن الماضي العلماء اللذين تفوقوا
في الطب والرياضة والطبيعة ولكنك لا تكاد تظفر فيها باديب يعدل هؤلاء الادباء
الذين كثروا في الشام . وانت تستطيع ان تجد في الشام ادباء تفوقوا في الادب واللغة
واستحدثوا فيهما الجديد النافع ولكنك لا تجد في الشام مثل من تجد في مصر من العلماء .
ومهما يكن من شيء فقد ارادت ظروف الحياة التي احاطت بالقطرين ان يلجأ النشاط
السوري في الادب واللغة الى مصر منذ اواخر القرن الماضي وان تكون القاهرة مستقر
الحركة العقلية القوية في الشرق كله فانتقل ادباء السوربين وعلمائهم الى مصر ووجد
نشاطهم فيها ما لم يكن يجده في الشام من القوة والتشجيع فآتى ثمرته الباقية الخالدة
واصبح النثر العربي الآن اصدق مزاج التأم فيه الروحان السوري والمصري التاملاً لا
سبيل الى تفريقه . ولست اقول هذا الكلام عبثاً ولا اطلقه من غير دليل فليس من
شك في ان الصحافة صاحبة الحظ الموفور في نشر الادب والعلم وانشاء النثر الحديث ،
وانا حين اذكر الصحافة لا اريد بها اليومية دون الاسبوعية او دون الشهريه انما اريد
الصحافة كلها والصحافة سورية مهما يكن من شيء . ولعل احداً لا يستطيع ان يناقش
في ان الصحافة المصرية الخالصة حديثة العهد بالوجود وانها على ما بلغت من قوة الابد

وشدة الاثر في هذه الايام لم تستطع ان تسبق الصحافة السورية ولا ان تتفوق عليها . وحسبنا ان نلاحظ ان الصحافة المصرية ان كانت قد بلغت من القوة في هذه الايام حظاً موفوراً فهي بعد لم تستطع ان تتجاوز السياسة وهي ان اثرت في الادب فمن طريق السياسة ومن السعي الى السياسة فاما الصحافة الادبية والعلمية الخالصة التي تشاؤها لتقرأ فيها فصلاً من فصول الادب او مجتثاً من مباحث العلم ليس غير فما زالت الى الآن سورية وهي ترحب بضيوفها من المصريين وغير المصريين وتجد في تضيفها ايام حياة وقوة ولكنها على كل حال سورية

والآن وقد الممنا باصول هذه النهضة النثرية العربية فهل نستطيع ان نشخصها تشخيصاً صحيحاً وان نصل الى المميزات التي تفرق بين هذا النثر الذي نكتبه الآن والنثر الذي كان يكتب منذ خمسين سنة . اعنقد ان ذلك ليس عسيراً فقد كان النثر منذ خمسين سنة كما قلت لك آنفاً متوسطاً بين حالين فيه معنى قيم يحدث في نفسك ما تطمح اليه من لذة علمية وفنية ولكنه لم يخلص من تلك الاغلال والقيود التي كان يرسف فيها النثر القديم، فهو مقيّد بالسجع متكلف للاستعارة والوان البديع والبيان ولكنه لم يكن يتكلف هذه الالوان بحكم الفقر والاعدام وانما كان يتكلفها بحكم العادة . ولم يكن بد في ذلك الوقت الذي احسن العقل الشرقي فيه حريته وشخصيته من ان تشبّ الحرب ضروراً بين المذهبين المتخصمين دائماً في النثر : مذهب اصحاب القديم ومذهب اصحاب الجديد . وقد ثبت بالفعل هذه الحرب وكان السوريون هم الذين شبّوها لانهم كما رأيت اصحاب الصحافة ولانهم كما رأيت اقرب الى النشاط في الادب منهم الى النشاط في غيره ، وانت نعلم ان الصحفي مضطر بحكم صناعته وما تستتبعه من العجلة والتحدث الى الجمهور الى ان يخل من هذه القيود البديعية ويخلص من هذه الاغلال الفنية . وكذلك فعل الصحفيون من السوريون وكذلك فعل الصحفيون المصريون ايضاً واستطاع الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وعبد الكريم سلمان ان يكتبوا فصولاً لا تخلو من آثار القديم فيها السجع وفيها تكلف البديع والبيان ولكنها بعيدة كل البعد عما كان يكتب في اوائل القرن الماضي وفي منتصفه ايضاً ، فيها حرية لفظية ومعنوية ظاهرة وفيها اجتهاد في اختيار الحرّ من اللفظ واجتناب المبتذل وفيها طموح الى الجديد لم يكن يألفه الكتاب المصريون من قبل . وكثرت اشعار المباحث العلمية الحديثة في مصر والشام بفضل الجلات والصحف والكتب واشتدت حركة احياء الادب العربي في القطرين وقرأ الناس العلم والادب الغربيين

فدشطت عقولهم وقرأوا الادب العربي القديم فاستقامت السننهم واقلامهم ولم يكذبني القرن الماضي حتى كان الشعر قد خلس من اغلال البديع خلوصاً تاماً وحتى كان الجهاد بين القديم والجديد في النثر قد تطور تطوراً غريباً فاصبح انصار القديم لا يستمسكون بركاة الجبرقي ولا يحرصون على بديع ابن حجة وانما يستمسكون بقديم بغداد وغيرها من اعمار البلاد العربية في العصر العباسي ، ويستمسكون بصحة اللفظ من الوجهة اللغوية وبرائة من العامية والابتذال . واصبح انصار الجديد لا ينفرون من البديع والبيان فقد استراحوا من البديع والبيان ، وانما ينفرون من الاغراق في هذا الادب العربي القديم ويطمحون الى تقليد الادب الغربي الحديث واصطناع الانفاظ الاوربية الاعجمية . واشتد هذا الجهاد بين انصار القديم والجديد في العقد الاول من هذا القرن وكان السوربون بنوع خاص من اشد الناس نصراً للجديد وكان شيوخ مصر هؤلاء الذين نوسطوا بين الازهر والمدارس المدنية لانهم تخرجوا من دار العلوم من اشد انصار القديم وكان العلم يزداد انتشاراً والشباب يزداد امعاناً في الاتصال باوروبا والتغذي بما فيها من علم وادب . ثم كانت حركة وطنية في مصر قوية عنيت بها الصحف واندفعت فيها اندفاعاً شديداً وكان الشبان قوة هذه الحركة ، ومن الذي يستطيع ان يأخذ الصحف المتدفعه في حركاتها السياسية بملاحظة القديم وانتقاء الالفاظ ؟ ومن الذي يستطيع ان يأخذ الشباب النائر بان ينقيد بالقاموس او لسان العرب ؟ ولاأمر ما تجاوزت هذه الحركة السياسية مصر وكانت الثورة في قسطنطينية واعلن الدستور العثماني وردت الحرب الى الاقطار العربية العثمانية فكان لهذا كله اثر قوي في الادب العربي وفي النثر منه بنوع خاص ، وكان هذا كله صدمة عنيفة لانصار القديم من الكتاب والشعراء . ذلك لأن هذه الحركات السياسية نقلت الكتابة من بيئتها القديمة الى بيئات جديدة ما كانت لتكتب لولا هذه الحركات ، فقد كانت الكتابة (كما كان العلم) حظاً مقصوراً على بيئة خاصة من الناس ثم اصبحت الكتابة كما اصبغ العلم حظاً شائعاً في الناس جميعاً . ومن الذي يستطيع ان يأخذ الناس جميعاً بالتحرج فيما يكتبون والنقيد بمعاجم اللغة واساليب القدماء . وكانت الحرب العظمى فاشتد الاتصال والمخالطة بين الشرق والغرب وانتهيا الى حد لم يعرف من قبل ثم انتهت هذه الحرب ونتج عنها ما نتج من هذه الثورة السياسية العامة في الشرق العربي كله واثر هذا في حياة الناس على اختلاف فروعها فلم يكن بد من ان يؤثر في الادب ايضاً وفي النثر بنوع خاص . الحق ان الحرب ونتائجها وقفت نمو الحركة الادبية في

الشرق العربي وان هذه الثورة السياسية شغلت الناس عن الحياة الادبية والعلمية حيناً وفصرت جهودهم على السياسة ولكن هذه السياسة نفسها قد تركت في النثر العربي أثراً لن تمحي قبل عصر طويل ، جعلته حاداً عنيفاً واستحدثت فيه فنوناً مختلفة واساليب متباينة من الطعن والخصومة لم يعرفها النثر العربي من قبل . ثم لم تلبث السياسة نفسها ان استحدثت حياة ادبية جديدة في النثر ظهرت منذ حين وآتت ثمرات طيبة ولكن لم تصل بعد الى غايتها . ومن الحق ان نقول ان مصر قد اختصت بهذه الحركة . ولكل شيء خيره وشره وقد كان للخصومة الحزبية في مصر ضرورها وآثامها ولكن لها في الوقت نفسه حسناتها ومنافعها وانما نفي منها بالحسنة والمنافع الادبية . واول ما نلاحظ من هذه الحسنات ان الجهاد اشتد بين الاحزاب فاضطرها الى ان تتنافس في اكتساب الجمهور وكانت الصحف اجل الادوات لهذا التنافس خطراً وكان الادب من اهم الاسباب التي اتخذتها الصحف وسيلة الى التنافس . اخذت الصحف تنشر الفصول الادبية تقلد في ذلك صحف اوربا ولكنها تخدع الناس وتستدرجهم الى قراءة ما تكتب في السياسة ، وما هي الا ان اصيحت الكتابة في العلم والادب نظاماً تحرص عليه كل صحيفة تقدر لنفسها كرامة صحفية وتريد ان يحفل بها الجمهور . واصبح الجمهور نفسه لا يقدر الصحف الا اذا قدمت له مع الفصول السياسية فصولاً في العلم والفلسفة والادب والفن . والصحف تتجاوز مصر وتنبثق في الاقطار العربية كلها فما اسرع ما نتأثر هذه الاقطار بهذه الفصول الادبية . فالادب وحده هو الذي يجمع بين البلاد العربية المختلفة جمعاً حراً بريئاً متجنباً بعد ان فرقت بينها السياسة ولست اذكر هذه الفنون النثرية الهزلية التي استحدثتها السياسة في الصحف الاسبوعية

فهذه الفنون قيمتها ولكنها ليست من النثر الذي نحن بازاؤه وهو النثر الادبي الفصيح هذا النثر الادبي الفصيح ان امتاز الآن بشيء فهو يمتاز بأن الخصومة فيه بين انصار القديم والجديد قد انتهت او كادت تنتهي الى قدر لن بعدهم مختصمون . ذلك ان الكثرة المطلقة من الذين يقرأون الصحف والكتب حريصة كل الحرص على شيئين لا ترضى بدونهما : الاول ان يقدم اليها نثر فصيح مستقيم اللفظ نقي الاسلوب يرى من الابتذال حر من اغلال البديع والبيان . والثاني ان يكون هذا النثر على كل ما قدمنا ملائماً لذوقها الجديد وميوها الجديدة قماً في معناه كما هو قيم في لفظة حر في معناه كما هو حر في لفظة ايضاً ، ومعنى هذا ان الكثرة المطلقة من الذين يقرأون العربية الآن تحرص في حياتها كلها على أمرين : تحرص على قديمها لانها لا تريد ان تمحو شخصيتها وتحرص على

الجديد لانها لا تريد ان تكون اقل من الغرب علماً ولا أدباً ولا حضارة . وهذا النثر الذي قدمت وصفه هو وحده الملائم لهذا الذوق الجديد وهذه الآمال الجديدة . ومع ذلك فللقديم أنصار وللجديد انصار ولكن اولئك وهؤلاء قلة ضئيلة في حقيقة الامر لا يكاد يعبأ بها احد ، اولئك لا يزالون يستمسكون بالصناعة اللفظية و يسرفون فيها امرأناً شديداً فينصرف عنهم الناس لانهم لا يفهمونهم ولا يجدون عندهم ما يريدون ، وهؤلاء يزددون الالفاظ ويفنون شخصيتهم الشرقية العربية في كتاب الغرب فينصرف عنهم الناس لانهم لا يجدون عندهم هذه الشخصية الشرقية العربية التي يكلفون بها و يناضلون في سبيل تحقيقها واكره اوروبا على ان تعترف لها بالوجود

اظنك تعفني من ان اتجاوز هذا القدر العام الى التحدث اليك عن شخصيات الكتاب النافرين في مصر وغير مصر واثار هذه الشخصيات في اساليبهم النثرية فقد اطلقت واسرفت في الاطالة ولو ذهبت احدثك عن شخصيات الكتاب واساليبهم لما فرغت الآن وما اشك في ان « المقتطف » حريص على ان افزع

طه حسين

كنوز البحار وغرائب انتشارها

٢

مخاطر الغوص ومعدات الغواص

لولا الغواص لاستحالت اعمال النشل . فقد يضع المهندس اربع الخطط الهندسية المبينة على احدث المبادئ العلمية ويهيئ لعمله آخر المبتكرات الفنية من آلات وروافع ولكن نجاح عمله مرتبط بمقدرة الغواص

كل رجل يستطيع الغوص الى عمق ٣٠ قدماً من غير مشقة كبيرة اذا تعلم السباحة . وكثيرون يستطيعون الغوص الى عمق ٦٠ قدماً اذا كانوا في حالة صحية ولكن بحد ينهم من يستطيع الغوص الى عمق ١٥٠ قدماً او مائتي قدم لان ضغط الماء على الجسم حينما يكون الغواص على هذا العمق كبير يستدعي قوة غير عادية لتحمله

دع المخاطر التي يتعرض لها الغواص من حيوانات البحر كالاخطبوط وكلاب البحر وغيرها فان الغوص الى اعماق بعيدة القرار عمل شاق واذا لم يكون الغواص متين البنية متمرساً بعمله رزح تحت اعبائه . لذلك ينتخب الغواصون كما ينتخب ابطال الرابطة

البدنية في المدارس والكتليات و يقرنون مثلهم ليحفظ كل منهم قلبه ورئتيه وجميع اعضاءه في حالة صحية تامة وفي الغالب ترى الغواص نحيف الجسم ليس فيه اوقية من الدهن الزائد الذي لا فائدة منه وعضلاته كانتها قدت من الحديد

والضغط الشديد الذي يتعرض له الغواص على هذه الاغوار البعيدة يعادل ثلاثة اضعاف الضغط الذي يتعرض له عند سطح البحر او اكثر وكما زاد العمق زاد الضغط حتى لقد يبلغ في كثير من الاحيان اربعة اضعاف الضغط على سطح البحر او خمسة اضعاف واعضاء الجسم لم تخلق لتتم وظائفها تحت هذه الضغط الشديد لذلك تعاني كثيراً من الجهد والتعب في عمل قد يكون من ابسط الاعمال كالمشي على دكة سفينة . وجسم الغواص في ذلك يشبه سيارة بنيت آلاتها لتجرب ما ثقله نصف طن مثلاً فحملها صاحبها ثلاثة اطنان

ومن الاسباب التي تعرض الغواص للخطر على هذه الاغوار البعيدة ان عمل قلبه يزداد اضعافاً مضاعفة لكي يدفع الدم المؤكسد الى مختلف الاعضاء ليبت فيها القوة والنشاط اللازمين حتى يتمكن الغواص من اتمام اعماله . ولا يخفى ان الغواص يقاوم ضغط الماء على جميع جوانبه بما يستنشقه من الهواء المضغوط الذي يرسل اليه من السفينة التي غاص منها . هذا الهواء المضغوط يوازن بين الضغط الذي في شرايينه واورده وضغط الماء خارج الجسد واستنشاقه يجهد قوى الرئتين ويعرض الغواص لمرض يعرف عند جمهور الغواصين والاطباء « بشلل الغواص » ذلك ان هذا الهواء المضغوط وفيه مقدار كبير من النتروجين قد ثقلت منه بضع فقاقيع فتجري في مجرى الدم حتى اذا وصلت الى القلب قتلت صاحبه او سببت شللاً في الجانب السفلي من الجسم

ومن الغريب ان هذا الخطر لا يتعرض له الغواص في نزوله الى الاغوار بل حين صعوده منها الى سطح البحر . فاذا اسرع في صعوده اخذ النتروجين الذي في دمه يخرج منه فقاقيع فقاقيع كما يخرج اكسيد الكربون الثاني من الماء الذي وضع فيه بالضغط . فاذا خرج النتروجين كذلك عرض حياة الغواص للخطر . وسبب هذه الفقاقيع سرعة هبوط الضغط الشديد خارج الجسم فيحدث حينئذ ما يحدث حينما تفتح زجاجة من ماء الصودا بسرعة ويمنب هذا الخطر على اسلوب واحد وهو الصعود من الاعماق الى سطح البحر رويداً رويداً . فاذا هبط الغواص الى عمق ١٢٠ قدماً وبقي ساعة على هذا العمق وجب عليه ان يستغرق ٥٧ دقيقة على الاقل في صعوده الى سطح البحر وكما صعد بضع عشرة قدماً ونف يحرك اعضاءه حتى يخرج منها النتروجين الزائد رويداً رويداً . فيستريح له ان

يصعد الى عمق ٤٠ قدماً في ٨٠ ثانية اي يرتفع قدماً في الثانية ثم يبقى على هذا العمق خمس دقائق قبل ان يرتفع عشر اقدام اخرى . وحين يبلغ عمق ثلاثين قدماً عليه ان يبقى هناك نحو ١٥ دقيقة قبلما يرتفع الى عمق عشر اقدام حيث يلزم بقاءه ٢٥ دقيقة قبل صعوده الى سطح البحر . واذا اتفق بقاء غواص ساعة على عمق ٢٠٠ قدم وجب عليه ان يقضي اربع ساعات كاملة في صعوده من ذلك العمق الى سطح البحر . ولا يسمح في الغالب لغواص ممتاز يستطيع الغوص الى ذلك العمق ان يبقى فيه اكثر من ٢٠ دقيقة فيستطيع حينئذ ان يصعد الى سطح البحر في ٣٢ دقيقة من غير ان يتعرض للخطر

هذا وقد اجرى الدكتور هلدن والدكتور بويك تجارب كثيرة اجابة لطلب وزارة البحرية الانكليزية ووضعاً جداول دقيقة للازمنة التي يستطيع الغواص ان يقضيها على اعماق مختلفة من غير ان يعرض حياته للخطر وما يوافق ذلك من الوقت للصعود الى سطح البحر . وقد جرى الغواصون على هذه الجداول في انحاء العالم فصار الغوص على كثرة مخاطره مقيداً بقيود اذا اتبعها الغواص انتفى كثير من هذه المخاطر التي تحيق بعمله . وقد صار الغواص قادراً على المشي في قاع البحر فلا يتعرض للاخطار التي يتعرض لها كل انسان اذا سار في ساحة من الساحات المزدحمة في المدن الكبرى باوروبا واميركا

ولا يخفى ان حرارة ماء البحر تنخفض بازدياد العمق لذلك يلبس الغواص قمصاناً وجوارب من الصوف وقد يلبس ثلاثة قمصان احدها فوق الاخر ويلبس مثلها من الجوارب ليمتقي بها البرد الذي يتعرض له . وبعد ما يرتدي ملابس الصوفية يلبس الثوب الخاص بالغواصين وهو شبيه في بعض اجزائه بدروع الفرسان في القرون المتوسطة . ثم توضع الخوذة على رأسه وتربط ربطاً مكيناً لانها واقية الوحيدة من الموت خنقاً فيها يتصل بالسفينة بانبوب يرسل فيه الهواء المضغوط فيستنشقه ليعادل ضغط المياه من الخارج وليحصل منه على الاكسجين اللازم للحياة . وهناك واسطة اخرى تصل الغواص بالسفينة التي غاص منها وهي ما يدعى حبل النجاة يفهم به رفاقه ما يريد ان يفهم بتحريره حركات خاصة

ومتى نزل الغوص الى الماء صارت حياته في يد الرجل المسك بحبل النجاة وانبوب الهواء وعليه ان يكون شديد الانتباه والحذر فلا يترك هذين الحبلين قبل صعود الغواص الى سطح الماء

وقد استنبط حديثاً تلفون يدعى تلفون الغواصات يستعمله الغواص ايضاً وقد قل

كثيراً المخاطر التي يتعرض لها اذ به يتمكن من مخاطبة رفاقه في السفينة التي غاص منها فبطلمهم على احواله و يطلب منهم النجدة اذا اضطر اليها

اما الثوب الذي يلبسه الغواص فقد ثقلت عليه احوال كثيرة فكان في البدء صندوقاً من الخشب يربط بسير من المطاط حول وسط الغواص وفيه ثقبان يخرج منهما بديته صار اسطوانة من المعدن . وفي سنة ١٨٣٧ استنبط المهندس سيب ثوب المطاط المستعمل الآن بعد ان جرب فيه تجارباً مدة ١٨ سنة . وهذا الثوب لم يتغير في جوهره بل اضيفت اليه اضافات حجة جعلته اشدّ انفاقاً واهدى الى الغاية المنشودة

وقد اهتم المهندسون منذ زمن بعيد بصنع ثوب للغواص يمكنه من الغوص الى اغوار بعيدة المدى من غير ان يتعرض لخطر ما . ولا يخفى ان اعظم الاخطار التي يتعرض لها الغواصون هي ضغط الماء الشديد كما تقدم وقد حاول المستنبطون ان يجعلوا الثوب من معدن له مقاسل مرنة تزيل هذا الضغط ولكن ما صنعوه من هذا القبيل لم يأت بالفائدة المطلوبة لثقله وصعوبة الحركة فيه

وقد استنبطت اثواب اخرى تمكن الغواصين من الغوص الى اعماق قريبة من غير ان يعتمدوا على انبوب الهواء المضغوط وذلك باستعمال بعض المواد الكيماوية التي تنقي الهواء بامتصاص اكسيد الكربون الثاني منه وتولد اكسجيناً جديداً يستنشقه الغواص وقد رأينا في الصيف الماضي غواصي الباخرة اليابانية الذين نشلوا نحو مائة الف جنيه قرب منارة البرلس فاذا هم لا يستعملون ثوب المطاط العادي بل لبس الغواص منهم امامنا ثوباً ازرق ولا نعلم هل كان تحته قمصان من الصوف او المطاط لحفظ حرارة الجسم . ثم لبس فنازين ايضين وربط رأسه بقطعة من القماش ووضع عليه آلة صغيرة الحجم تغطي العينين والانف ويمتد منها الى الفم لسان مزدوج يضغط عليه الغواص فيفتح منفذاً يصل منه الهواء المضغوط الى انفه فيتنفسه ويخرجه من فيه الذي لا يغطيه شيء وهذا الهواء المضغوط يزيد ضغط الجسم من الداخل فيتعاقل مع ضغط الماء من الخارج وكلما زاد العمق الذي يغوص اليه الغواص زاد ضغط الماء من الخارج فيزداد ضغط الهواء الذي يتنفسه حتى يعادل ضغط الماء

ولا يخفى ان هذا الاستنباط يختلف اختلافاً كلياً عن ثوب المطاط الشائع بين الغواصين المذكور سابقاً فهو ابسط منه تركيباً واسهل استعمالاً اذ تطلق فيه حرية الحركة للغواص فيسهل عليه الجولان في الباخرة الغارقة ليجت عما فيها من النفائس

طابع المدنية الحديثة

مدنية الفرد ومدنية الجماهير

يرى كل كتاب العصر الحديث الذين يتجشمون مؤونة التفكير في تاريخ التقدم الانساني ان الشعب اليوناني القديم هو ارقى شعب اقلته الارض من حيث النضوج الفكري. فما من شيء أبتكر في العلوم ، وما من رأي ذاع في موضوع من موضوعات الفلسفة او نظرياتها او مذاهبها الكثيرة الا وتجد له بداية في تاريخ الفكر اليوناني. حتى ذلك الشيء الذي يعد من اكبر مفاخر القرن التاسع عشر ، ذلك الاسلوب اليقيني العلمي الذي ندعي بان اوغست كونت اول من وضعه ، والحقيقة انه اول من شرحه ، تجده جلياً ظاهراً في مباحث ارسطوطاليس العملية وفي مقدمات ثوسيديديس التاريخية . واي كبير فرق بين ما تجد في مقدمات ثوسيديديس وبين ما يدعو اليه اليوم اعلام السوربون في فرنسا من توشي الطريقة العلمية في بحث معضلات التاريخ ؟ بل اية ميزة يمتاز بها بحاؤون العصر الحديث على ارسطوطاليس في طريقته التي توخاها في شرح المنطق او التاريخ الطبيي او الاخلاق ، وهي لا تؤمن الا بما يأتيها من طريق الحواس المستندة الى المشاهدة وصدق الاختبار ؟ لهذا يمضي كل الكتاب بلا شذوذ معتقدين ان الشعب اليوناني القديم هو ارقى شعوب الارض من الاسلاف الى خلائف القرن التاسع عشر

على هذا نستند اذا نحن مضينا في هذا البحث لنقرر بان الانسان لم يرتق منذ العصر اليوناني الاول حتى اليوم في الكفاءات العقلية . فالانسان في مدى خمسة وعشرين قرناً من الزمان لا يزال يتطلع الى ارسطوطاليس وافلاطون وسقراط كأكبر العقول التي انتبتها الانسانية في كل عصور تاريخها . وفي ذلك بلاغ بين نستند اليه في ما نريد ان نذهب اليه في بحثنا هذا

على هذا الرأي ذاته يمكنك ان تعكف اذا انت اردت ان تنظر في رقي الانسان الاخلاقي . فان الامثال التي ضررها لنا بضعة افراد النجيبم الشعب اليوناني القديم لا تزال الامثال المحنزة حتى اليوم في آداب السلوك . والسبب في هذا اننا لسنا باقل منهم معرفة بما يجب علينا من الآداب والاخلاق ، بل لاننا نعرف ولكنهم كانوا يعتقدون . كانوا ذوي يقين ثابت في ان الواجب يحتم عليهم اتباع سبيل الفضيلة عملاً لا قولاً . فهم الذين

نفذوا تعريف الاستاذ هكسلي في الدين قبل ان يأتي هكسلي الى عالم الوجود بخمسة وعشرين قرناً من الزمان ، هم الذين عرفوا ان « الدين هو اجلال المثل الاعلى من الاخلاق ومحبة العمل على تحقيقه في الحياة » كما يقول هكسلي استاذ القرن التاسع عشر .
 وهم الذين قال لهم شيخ فلاسفتهم الاخلاقيين ارسطوطاليس : « في الشؤن العملية ليس الغرض الحقيقي هو العلم نظرياً بالقواعد ، بل هو تطبيقها . ففيما يتعلق بالفضيلة لا يكفي ان يعلم ما هي ، بل يلزم زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها . ولو كانت الخطب والكتب قادرة وحدها على ان تجعلنا اخبيراً لاستحقت ، كما كان يقول نيوغنيس ، ان يطلعها كل الناس وان تشتري باغلي الاثمان . ولكن لسوء الحظ كل ما تستطيعه المبادئ في هذا الصدد هو ان تشدد عزم بعض فتيان كرام على الثبات في الخير ، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقاً للفضيلة وفيماً بعدها » (١)

ومنذ ان افلت شمس اغريقية في آسيا وشرق اوربا حتى اليوم لا تجد من مثال تحذيره الا مثال ذلك الشعب المجيد الذي اورث الانسانية تراثاً من العلم والادب والفنون لا يفخر به شعب دون شعب ولا قبيل دون قبيل ، بل هو ما يفخر به الانسان على انه انسان ضرب للكون اخالداً مثلاً ان في مستطاعه ان يبلغ من رقي النفس ومن انكار الذات حداً الاداب السقراطية الواضحة في عصور المدنية اليونانية

فاذا تركت البحث في الاسباب الخفية الكامنة التي بز بها الشعب اليوناني القديم شعوب الارض قاطبة لما استطعت ان تقع على شيء ينقع غلتك الا ان تلجأ الى ما يقول به علماء الوراثة من النشويين في هذا الزمان من ان السبب في هذا يرجع الى صفات نوورثت في هذا الشعب ثم نصب معينها شيئاً فشيئاً حتى تلاشت كوحدة خص بها الشعب اليوناني وتوزعت على بقية الشعوب التي تحالط دمها بدم اليونانيين القدماء او كوراثته فظهر بوادرها من حين الى حين في بضعة افراد ما يزالون حتى اليوم اينما ظهوروا وحيثما كانوا موضع اجلال الانسانية وهداها في ظلمات هذا الوجود . ولكنك اذا لجأت الى البحث في الاسباب الظاهرة التي ميزت الشعب اليوناني القديم عن كل الشعوب بلا استثناء ، وعرجت في بحثك على علم الاجتماع الحديث امكنك ان تقع على سبب واضح جلي يوقفك على سر ما يزيد ان تعرف من اسباب آراء هذه المسألة التي تظل في نظرك لغزاً وعراً ومعضلة

(١) عدد مقدمة بارتلمي سانت هيلير في مقدمته لعلم الاخلاق الى نيقوماخوس من الطبقة العربية

معقدة ما دمت بعيداً عن النظر في اسبابها من ناحية اجتماعية صرفة . على اننا لا نريد ان نلفّ بالقارئ حول الموضوع ضاربين له الامثال مبينين له الاسباب لنخلص به الى النتيجة بل نذهب في بحثنا الى ضد هذه الطريقة لنقول له ان الفرق ينحصر في ان الفردية الاستقلالية كانت في العصر اليوناني اقوى منها في كل عصور المدنية كما ان الاشتراكية الاجتماعية هي طابع هذا العصر الحديث ، وهي فوق ذلك نتيجة محتمة للطريق التي تمست فيها الجماعات في الاعصر الحديثة

ان من اكبر الفضائل التي يحسد عليها القدماء وعلى الاخص الشعب اليوناني القديم هو بروز الذاتية الفردية واستقلالها فكراً وعملاً وبعدها عن التأثر بحياة الجماهير . لهذا تجد ان الفيلسوف منهم ظهر كفيلسوف علم على طريقة من الفلسفة ومضى ثابت اليقين فيما يوحى اليه به عقله وتقلي عليه تصوراتهُ ولو ذاق الموت في سبيل مبدئه . الم يمت سقراط لانه مضى طوال حياته يحاول ان يفهم الناس انهم جهلاء وان الدعوى والغرور اكبر مفسد النفس واكبر برهان على الجهل المطبق ؟ الم تركب كيف جلس ديوجنيس على باب الاكاديمية لافلاطون مخفياً ديكاً عراً من ريشه حتى اذا عرف افلاطون الانسان بأنه حيوان نسل رعى بالديك الى وسط القاعة قائلاً «هذا انسان افلاطون» وافلاطون حينئذ ذلك الرجل العظيم الذي كان يبلغ حب تلاميذه له مبلغ حب العباد الصالحين لمعبوداتهم غير المرئية ؟ وهل اتاك حديث ارسطوطاليس اذ ناقش استاذهُ افلاطون فاهاهُ بعض الطلبة فتركهم حتى اذا انتهز فرصة غيابهم كتب لهم على السبورة هذه الجملة «نحن نحب افلاطون ونحب الحق فاذا اختلفا فايهما اولى بالحببة » . وهل عرفت حديث ديوجنيس اذ وقف ازاءهُ الاسكندر المقدوني وهو جالس بجوار برميله الذي كان يعيش فيه وسأله هل ترهيني ؟ فاجابه هل انت صالح ام شرير ؟ فاجابه بل صالح : قال وكبت اخافك وانت رجل صالح ؟ وسأله هل تريد مني شيئاً : فقال لا . بل تحول قليلاً لانك حلت بيني وبين الشمس . فهم بعض اتباع الاسكندر بايذائه فانهزم الاسكندر قائلاً لو لم اكن الاسكندر لتميت ان اكون ديوجنيس

تظهر هذه الامثال البسيطة على تكوين شخصياتهم الفردية وعلى ثبات عقائدهم التي ترضي عقولهم غير ناظرين الى ما يعتقدونه غيرهم . وانك علمت ان الكليبيين كانوا يعتقدون في انهم اكثر اهل الارض ثروة واعظمهم في الخطام جاهاً وهم بعد تلك الفئة التي

كانت تعيش عيش الفقر المدقع لتولك شيء من العجب ولا خذلك نوبة من التفكير العميق. ولكنك لا تلبث ان تعرف تعرف بفهم الذي وضعوه للثروة حتى نقنع بانهم اسى اهل الارض نفساً واعلام في المكارم كعباً وأسماهم كفاً وانلى العالمين بطون راح كما يقول شاعرنا العربي ، وان كانوا اشد الناس فقراً واشدهم عدماً وامعنهم في الخصاصه . يقولون بان ثروة الانسان تنحصر في عدد الاشياء التي يستطيع الانسان ان يعيش بغير احتياج اليها . وهو تعريف فيه كثير من الحق الثابت . وهذه الفكرة على غرابتها وعلى بعدها عن المألوف في كل المدنيات لم تعش ولم يعتنقها افراد يتبعون احكامها فعلاً لا نظراً الا في بلاد اليونان القديمة . والسبب في هذا ان الشخصية الفردية لم تبلغ تمام تكوينها الا في ذلك العصر الذهبي بحق كما يقولون

نتمثل لك بعض الاسباب الخفية التي كونت شخصيتهم الفردية في معتقد ثابت كانوا يرضون عليه عاكفين . كانوا يعتقدون بانهم ابناء آلهة تولاهم تزر من الفساد وانتابهم نصب من الانحطاط . اما نحن في القرن العشرين فنعتقد باننا ابناء قرده آخذين في اسباب النشوء والارتقاء . وبمقدار ما نتجدد من الفرق بين المعتقدين ، نتجدد التباين بين نزعتنا ونزعاتهم وبين نظاماتنا التي فنيت فيها الشخصيات الفردية في جوف الجماهير ، وبين نظاماتهم التي فنيت فيها الجماهير في قوة الاستقلال الفردي . وعلى هذا نستطيع وبكثير من الحق ان نقول بأنه مدنية اليونان القدماء هي مدنية الافراد ، كما نستطيع وبكثير من الحق ان نقول ان مدينتنا الحديثة هي مدنية الجماهير

قلب نظرك في مختلف جهات المدنية الحديثة ، واجل فكرك في نواحيها المشعبة ونظاماتها الكثيرة ، ففي ايها تقع على اثر الفرد المستقل بذاته وعقله بعيداً عن تأثير الجماهير؟ بل امض في بحث مستفيض نقضيه في التأمل في تاريخ النظم الاجتماعية اهلية وفصائية وحرية وغير ذلك ، وقل بعد ان تنظر فيها نظرة تأمل عميق اي منها لم تنقلب آتية من العمل على حماية الفرد الى آلة تستعمل لقضاء مآرب الجماهير واشباع شهواتها الكثيرة

غريزة القتال من الغرائز الثابتة في الخلق الانساني ، وهي كفبرها من الغرائز لها بداياتها في عالم الحيوان فهي من الصفات الموروثة فينا عن آباءنا الاولين . غير ان هذه الغريزة تكيفت في عدة وجوه انتقالية حتى اذا تكونت الامم في الاعصر القديمة على ان تكون امماً تسكن المدن وتجمع بين افرادها مصالح واحدة ونزعات ومشاعر واحدة ، نشأت

مع ذلك فكرة تكوين جزء من سكان المدينة ليردوا عنها غارات اعدائها ويقومون حراساً على نظامها وعلى كيانها خوف ان تتناهب يد التخريب بمطامع الفاتحين، الذين لم يكونوا ليفتحوا او يدوخوا بلاد غيرهم من الناس الا ارضاء لنزوات غريزة القنال الموروثة فيهم كما حركتها عوامها الخفية . ولما ان ضرب الانسان بقدمه الثابتة في مدارج المدنية ، واتحدت الفصائل الصغيرة فكونت جماعات كبرى ، همس وحي الغريزة في ضمير كل فرد من افراد تلك الجماعات بانه ملزم بان يمد يد الحب والعطف ، وبكل ما اوتي من غرائز والاجتماعية ، الى كل اعضاء الامة التي هو تابع لها ، ولو لم يكن على صلة بهم — كما يقول العلامة دارون ، ولما تكونت مصالح البشر على ان يعيشوا جماعات داخل مدائن العصور الاولى ، همس وحي الغريزة فيهم ان يقاوموا غريزة القنال والفتح بغريزة الاحتفاظ بالنفس فتكونت الجيوش على ان تكون اداة لحماية الافراد ، ولم نعلم من حرب هجومية الا وكان اساسها تخيل الخطر واقعاً من ناحية ما ، كما حصل في كثير من عصور التاريخ . وعلى الضد من هذا تجد ان اكثر ما تتكون الجيوش في العصور الحديثة واكثر ما تلج حرايبها في الانق او تبرق سيوفها في ظلام المدنية انما هو خدمة للجماهير ومصالحها الموهومة ، وللاعتداء على حرية الشعوب الاخرى اعتداء لا سبب له الا فتح اسواق جديدة لتاجر ومصنوعان تزيد عن حاجة الجماهير التي تنتجها . واشد ما تكون اقتناعاً بهذا الرأي اذا انت علمت ان المنتج في العصر الحديث انما هي الجماهير التي تعيش متطفلة على رؤوس الاموال لا الافراد الذين استقلوا بعملهم استقلالاً يعود به كل الربح الذي ينتج من عمل يدهم عليهم دون غيرهم وضعت القوانين والنظمات القضائية في الازمان الماضية لحماية الفرد المستقل بذاته عن التأثير حياة الجماهير . اما قضاء عصرنا الحاضر ونظاماته الكثيرة فلم توضع الا لحماية شركات الاحتكار واصحاب رؤوس الاموال حماية لا خسران فيها الا على الفرد وعلى استقلاله الذاتي . وما نظام النقابات الحديث الذي اوسعت له القوانين صدرها في العصر الاخير الا محنة جديد من محن المدنية ، وما تبدل القانون منها بشيء الا الانتقال من حماية جماهير الشركات الى حماية جماهير العمال . فالنتيجة حماية الجماهير والقضاء على استقلال الفرد

ثم ارجع معي الى النظمات السياسية وقارن بين نظمات العصر القديم والعصر الحديث . قارن بين مشرع وسياسي كسولون ، وهو رجل جمع بين العلم والحكمة وبين

العمل على رآسة الشعوب بما تملّيه عليه حكمته وما يوحي اليه به علمه، وبين سيامي انتهازي من سياسي العصر الحديث لا يهيمه شيء في الوجود الا ان يعلو منصة الحكم ويظل ما استطاع عاملاً على ان يحافظ عليها بكل طريق ممكن. ان سيامي العصر الحديث لا يحتاج الى علم ولا الى حكمة اكثر من ان يقف موقف الجاهل القانع بان تسيره العناصر غير عالم الى اين تجتاحه ولا في اية مهواة سوف تلقى به. هولا يريد ان يعلم من شيء ولا يهيمه ان يعرف في العالم شيئاً الا ان يدرس الحالات القائمة من حوله ليعرف من اين سوف تهب رياح الجماهير في الغد ليتقيها بما يستطيع ان يتقيها به من كذب الى خداع الى موارد الى قوة ان هيأت له الظروف ان يجمع شهوة الجماهير بقوة سلاحه.

لا يعلم سياسي العصر الحديث ان مهمته الاولى ارشادية تعليمية، ولا يعلم انه مسؤول عن مصالح الجماهير: ولا يفقه ان الجماهير لا تعقل بل تشعر، ولا يعرف ان استقلال رأيه والتضحية بمصالحه اول ما يطلب منه كمرشد ومعلم معاً. لا يعرف شيئاً من هذا. هو بعيد عن حكمة الفلسفة، بعيد عن ارشاد العلم، فهو الجاهل بحق طبيعة ما عليه من المسؤولية.

وهكذا الحال اذا تلبعت بقية نظمات الاجتماع على صورتها المدنية الحديثة، مدنية الجماهير، فانت تجد ان الفرد قد دالت دولته لتقوم عليها دولة الجماعات المنظمة الخاضعة في نظامها لمجموعة من المبادئ الاستبدادية لا اثر لها في شيء الا في القضاء على حرية الفرد، ذلك الميراث الذي ورثناه عن المدينيات القديمة ولم نحسن القوامه عليه.

على أنك مهما فكرت ومهما اجهدت نفسك في البحث لا تستطيع ان تنظر في مستقبل الانسان نظرة يرضى عنها معتقدك العلمي ويطمئن اليها ضميرك كفرد تقدر حرية نفسك وحرية غيرك، الا اذا تبدلت جماعات المدنية الحديثة في نظامها الحاضر السائدة فيه روح الجماهير بنظام يكفل حرية الفرد وينني كفاياته ومواهبه. على انني اكاد اظير الى حد القول بأن الزمان الذي كان في استطاعتنا ان نرجع فيه عن استعباد الفرد لسلطة الجماهير قد انقضى امره. وكما بدأ انحطاط زراوتوسترا عند نشئه بهبوطه من الجبل الموحش الى عالم المدنية الانسانية، كذلك اعتقد ان انقلاب الحال من استقلال الفرد في المدنية القديمة الى استبداد الجماهير في النظام اول مدرج سوف تنزل من فوقه قدم المدنية الى مهاوي الفساد والسقوط

اسماعيل مظهر

انتشار التعليم في فنلندا

لفنلندا مركز غريب بين دول اوربا فاذا نظرنا اليها جغرافياً وجدناها جزءاً من روسيا وقد كانت كذلك ما يزيد على قرن الى ان جاءت الحرب الكبرى فانفصلت عنها وانشأت حكومة مستقلة . واذا نظرنا اليها نظراً تاريخياً وجدناها جزءاً من بلاد اسوج لان اهل اسوج استعمروا فنلندا اولاً وعلموا اهلها وبقيت اللغة الاسوجية لغة الادب والتعليم في تلك البلاد حتى سنة ١٨٠٨ واذا نظرنا الى التعليم فيها وجدناه رافقاً جداً ومعاهد العلم منها ما هو اسوجي ومنها ما هو فنلندي

ففي فنلند ثلاث جامعات اكبرها في مدينة هلسنغفور العاصمة اسست في مدينة ابو سنة ١٦٤٠ ثم نقلت الى هلسنغفور سنة ١٨٢٧ وقد كان عدد اساتذها سنة ١٩٢٤ نحو ٢٧٢ استاذاً وطلبتها ٢٩٤٦ طالباً منهم ٨٣٨ امرأة . وهي من مدارس الحكومة تنفق عليها من خزينتها . وهناك جامعتان في مدينة ابو احدهما اسوجية والاخرى فنلندية الاولى انشئت سنة ١٩١٩ والثانية سنة ١٩٢٢ وهما جامعتان خاصتان انما تعترف الحكومة بما تمنحانه من الالقاب لخريجيها . والجامعة الفنلندية فيها ٢٠ استاذاً و١١٨ تليذاً منهم ٤١ امرأة واما الجامعة الاسوجية ففيها ٣٥ استاذاً و١٤٦ تليذاً منهم ٢٨ امرأة اضع الى هذه الجامعات مدرسة بوليتكنيك في هلسنغفور وفيها ٨٦ مدرسا و٧٠٥ طلاب منهم ١٦ امرأة و ١٠٧ مدارس ثانوية و ٦ مدارس بحرية و ١٠٨ مدارس للفنون والصنائع و ٣٩ مدرسة زراعية و ٣٦ مدرسة تعلم العناية بالمواشي و ٧ مدارس تعلم العناية بالحراج والغابات و ٦ مدارس لزراعة البساتين و ٣٧ مدرسة تجارية و ٨ مدارس للمعلمين وقد بلغ من انتشار التعليم في فنلندا حتى صار الاميون من الذين عمرهم فوق الخامسة عشرة اقل من واحد في المائة وكان ينشر فيها سنة ١٩٢٣ نحو ٢٧٤ صحيفة باللغة الفنلندية و ٩٦ صحيفة باللغة الاسوجية و ٩ صحف باللغتين معاً و ٥ صحف بلغات اجنبية وكان تعليم الزراعة اهم ما يدور عليه التعليم العالي في فنلندا قبل الحرب اما الآن وقد استقلت البلاد فقد افسح المجال في الجامعات ودور العلم لعلم الكهرباء والكيمياء والهندسة وغيرها مما يمهّد السبيل لاستثمار ثروة البلاد وخصوصاً ما كان منها ماءً مخدراً يسهل تحويله الى قوة كهربائية

المتحف القبطي

خطبة نفيسة لمؤسسه

ايها السادة

(١) يسرني كثيراً ان ارحب اليوم في هذه البقعة التاريخية الهامة بنخبة من رجال التعليم الموكل اليهم تربية شباننا وتهذيبهم — رجال الغد الذين تنتظر منهم الامة ان يسيروا بها في سبيل التقدم والرفي ليرجعوا اليها مجدداً القديم

(٢) يسرني ان تعني وزارة المعارف الجليلة عناية خاصة بامر تعليم تاريخ مصر علماً وعملاً بعد ان كان مهملأ اهمالاً يكاد يكون تاماً هذا بينما كان الاجانب من اوربيين واميركيين يهتمون به وخصوصاً الاولين منهم فانهم منذ اكثر من مائة وخمسين سنة وهم يوفدون العلماء يبحثون وينقبون حتى توصلوا بمجدهم واجتهادهم الى كشف اكثر الآثار التي كانت مدفونة والى حل رموز القلم الهير وغلبي بعد ان ظل سرّاً مكتوناً اكثر من الف وخمسمائة سنة وتمكنوا من قراءة الحوادث التاريخية المنقوشة على جدران المعابد والمقابر ووضعوا مؤلفات قيمة كثيرة عن تاريخ مصر القديم وديانة المصريين في تلك العصور الغابرة

(٣) قد ولي واحمد الله الزمن الذي كان المصريون فيه لا يعنهم امر آثارهم التاريخية وحان الوقت الذي يمكنكم ان تبينوا فيه باحضرات الاساتذة لتلاميذكم ما وصل اليه اجدادهم من المجد والسؤدد بنبوغهم في العلوم والفنون وتحشوم على المساعدة على الاحتفاظ بآثارهم والافتداء بهم في تحصيل العلم واتقان الصنائع والفنون ليكونوا جديرين باولئك الاجداد العظام

(٤) قد لا توجد بلاد اخرى في العالم تصل حلقات تاريخها بعضها ببعض بدون انقطاع من اقدم العصور الى يومنا هذا مثل القطر المصري ولا يوجد تاريخ تؤيد الحوادث الواردة به المستندات مثل تاريخ مصر . اعني بالمستندات تلك المباني الشاهقة الخالدة من اهرامات وهياكل ومقابر واديرة وكنائس وجوامع في مختلف الجهات وكذلك المخطوطات والتحف والزخارف الكثيرة في متاحفنا ومتاحف اكثر بلدان اوربا واميركا (٥) مضى على مصر اكثر من الفين وثلاثمائة سنة منذ ما فقدت استقلالها

بانتهاء حكم الفراعنة ومن ذلك العهد وهذه البلاد بسبب مركزها الجغرافي الممتاز وما خصها الله به من المناخ الجميل والتربة الخصبة والثروة الطائلة مطمح نظر الفاتحين من احباش ويونان وفرنس ورومان وعرب واتراك وافرنج وقد نالت عليها الغارات والحج فهدم في اثناء الحروب وما يتبعها من الاضطرابات كثير من المباني الفخمة التي لولا عبث يد الانسان بها لبقيت خالدة مدى الدهور والاعوام، وضاع من الذخائر والكنوز ما لا يدخل تحت حصر. والامر المحزن هو انه لما خيم الجهل على البلاد قام الاهالي بهدمون ما بقي ظاهراً من آثار اجدادهم بحثاً عن الذهب والفضة وللانتفاع باقراضها لبناء دورهم. وكم من قطعة من الحجر بما هو منقوش عليها من معلومات تاريخية تفوق قيمتها في نظر العلماء وزنها من الفضة والذهب !

(٦) ولكن العناية شاءت ان تحفظ لنا بعض هذه الآثار العجيبة فسخرت الرياح ورمال الصحارى فطمست معالم كثير منها واخفتها عن عيون العابثين من اجانب ووطنيين الى ان اتاح الله لمصر العائلة المحمدية العلوية التي استعانت بعلماء الافرنج مثل مرتب باشا وبروجش باشا وماسبرو لكشف تلك الآثار وحفظها وصيانتها وانشأت المتاحف لعرض ما عثر عليه من التماثيل والحلى والزخارف وترتيب تلك المتحف والآثار بطريقة علمية ووضعت القوانين للمحافظة عليها والضرب على ايدي العابثين بها

(٧) تنقسم الآثار المصرية كما تعلمون حضراتكم الى اربعة اقسام رئيسية (١) آثار العصر الفرعوني الذي يبتدىء من اقدم العصور المعروفة وينتهي بانتها حكم الفراعنة في اول القرن الثالث قبل المسيح وقد شاهدتم كثيراً من آثاره العجيبة بالجيزة وسقاره ومتحف قصر النيل واسمها بالوجه القبلي (٢) العصر اليوناني الروماني و يبتدىء من القرن الثالث قبل المسيح وينتهي بالفتح العربي في الجيل السابع للميلاد و آثاره معروضة بمتحف الاسكندرية (٣) العصر المسيحي وسأ تكلم عنه (٤) العصر الاسلامي و يبتدىء من القرن السابع للميلاد الى يومنا هذا وقد شاهدتم آثاره البديعة في جوامع القاهرة ومساجدها في دار الآثار العربية بباب الخلق

العصر المسيحي

(٨) كان المصريون في مقدمة الامم التي اعنقت النصرانية وكان دخولهم في دين السيد المسيح على يد القديس مرقس الانجيلي في القرن الاول للميلاد . بدأ هذا الرسول

نشره في الاسكندرية عاصمة البطالسة وقد تولى البطاركة رئاسة الكنيسة المصرية من ذلك العهد. والانباء كيرلس البطريك الحالي هو المائة والثاني عشر من خلفاء مرقس الانجيلي. وكانت الاسكندرية مقر رآسيتهم حتى الفتح العربي ويدعون لهذا اليوم بطاركة الاسكندرية لهذا السبب. وبعد ذلك لما تأسست مدينة الفسطاط انتقلوا الى كنيسة المعلةقة^(١) التي ستزورونها اليوم ليكونوا على اتصال بالولاة والسلاطين المسلمين

(٩) ولما اعتنق المصريون المسيحية ابقوا على كثير من هياكل آهتهم القديمة وحولوا معابد آمون وازيس واوزيريس الى كنائس رفعوا فوقها الصليب واستعاضوا عن صور الآلهة الوثنية بصور السيد المسيح ورسله كما يشاهد ذلك الآن في الهياكل والبرابي الموجودة باسوان والاقصر والكرنك ولبثوا يقيمون الشعائر الدينية المسيحية بها الى ان تسنى لهم تشييد كنائس جديدة على الطراز البيزنطي مثل كنيسة دندره وكنيسة الدير الابيض والاحمر بسوهاج وكنائس قصر الشمع وغيرها

اللغة القبطية

(١٠) وبالنسبة لارتباط الحروف الهروغليفية بالديانة الوثنية استعاض عنها الاقباط بالحروف اليونانية باضافة بعض حروف مصرية الاصوات غير موجودة في اللغة اليونانية وقد خدم الاقباط تاريخ اجدادهم اجل خدمة بحفاظتهم على اللغة المصرية فان اللغة التي تستعمل الى يومنا هذا في اقامة الشعائر الدينية عند الاقباط هي هي اللغة التي كان يتكلم بها الفراعنة وقد ادخل عليها طائفة من الالفاظ اليونانية

وسبب اندماج كثير من الالفاظ اليونانية في اللغة المصرية التي اصبحت من ذلك العهد تدعى اللغة القبطية هو ان المسيحية بدأت كما سبق القول بالاسكندرية وكانت مدينة يونانية فكثرت الاناجيل وكتب الصلاة باللغة اليونانية ولما انتشر الدين المسيحي في داخل البلاد اضطروا الى ترجمة الكتب المقدسة الى اللغة المصرية التي كان السواد الاعظم من الاهالي لا يفهم سواها. ولا تزال توجد الى الآن آثار هذه الكتب بلهجات اللغة المصرية الخمس (١) الصعيدية (٢) الاخميمية (٣) الفيومية (٤) البشمورية (٥) والبحيرية وقد فقدت اكثر الكتب المكتوبة باللهجات الاربع الاولى ما عدا القليل منها واكثره في مكاتب اوربا واميركا والباقي عند الاقباط منها الآن مكتوب

(١) انظر وصفها في متحف فبراير الماضي في مقالة قصر الشمع

باللهجة الجيرية التي لا يعرف الاقباط سواها ما عدا اثنين او ثلاثة منهم الدكتور جورج صبحي استاذ اللغة القبطية بالجامعة المصرية ويسى افندي عبد المسيح امين مكتبة المتحف القبطي . ويرجع الفضل في درس اللهجات الاخرى وطبع كثير من الكتب المكتوبة بها الى علماء الافرنج وفي مقدمتهم كروم وهورنر والسير هربوت طمسون من الانجليز واميلينو وبوريان من الفرنسيين وسترن من الالمان وغيرهم من ام أخرى

(١١) ولولا محافظة الاقباط على لغتهم الاصلية لما تمكن شميليون العالم الفرنسي الشهير من قراءة وترجمة الكتابة المنقوشة بالحروف الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية على حجر رشيد الموجود الآن بالمتحف البريطاني بلندن . وبهذه المناسبة احب ان اذكر ان لفظ قبطي معناها مصري وهي محرفة من اللفظة اجبتوس ولذلك فجميعكم اقباط بعضكم اقباط مسلمون والبعض الآخر مسيحيون وكلهم متناسلون من المصريين القدماء

الكنائس والاديرة الاثرية

(١٢) ولما وجدت ان الاديرة والكنائس الاثرية عرضة للهدم والتخريب طلبت من الحكومة في سنة ١٨٩٣ وضعها تحت مراقبة لجنة حفظ الآثار العربية فتكرمت واجابني الى طلبي هذا وبهذه المناسبة ضمت الى اللجنة المذكورة عضوين قبطيين لي الشرف ان اكون احدهما . وقد قامت هذه اللجنة بترميم كثير من هذه المباني الاثرية واصلاحها بعناية تذكر لها بالشكر العظيم ومن هذه الآثار الدير الابيض والدير الاحمر بسوهاج وكنائس العذراء بحارة الزويلة بالقاهرة وابي سيفين وانبأ شنودة وماري مينا بمصر القديمة وابو سرجه ودير البنات والسيدة برباره بقصر الشمع

المتحف القبطي وكنيسة المعلقة

(١٣) ولما كانت الآثار المسيحية المعروضة بالمتحف المصري بقصر النيل والمتحف الاسكندراني قليلة جداً وكان اكثرها قد تسرب الى الخارج خطرت لي فكرة انشاء متحف خاص لها على مثال المتاحف الثلاثة المصرية الاخرى وهي المتحف المصري بقصر النيل ومتحف الآثار اليونانية الرومانية بالاسكندرية ودار الآثار العربية لتكمل السلسلة بوجود الحلقة الرابعة الناقصة . ولما عرضت هذه الفكرة على غبطة الاب بطريرك في سنة ١٩٠٩ لقيت منه قبولاً وارتياحاً فتكرم ووضع تحت تصرفي غرفتين في كنيسة المعلقة التي دعيت بهذا الاسم لانشاءها باعلى الحصن الروماني ويرجع تاريخها الى القرن

الخامس للمسيح وقد اهتم بترميمها والحفاظ على ما بها من الآثار النفيسة المرحوم نخله بك الباراني ومن ذلك الوقت اخذت في زيارة الاديرة والكنائس في انحاء القطر المصري وجمعت ما استطعت الحصول عليه من الكتب المخطوطة والاقمشة المزركشة والستور الحريرية والاواني الذهبية والفضية والنحاسية والاشباب المنقوش عليها صور بارزة والمطعمة بالعاج والاحجار المنقوشة الخ

(١٤) ثم شرعت في البناء غرفة بعد غرفة الى ان وصل المتحف القبطي الى الحالة التي هو عليها الآن وقد زينت هذه المباني بالسقف الاثرية المنقوشة والمشربيات العدمية النظير والاعمدة الرخامية التي جمعها من الخرائب التابعة لاقباط بمصر والجهات (١٥) وقد صادفني كثير من العقبات ولكنني تغلبت عليها بمعونة الله وبالصبر وطول الاناة وفي ذلك درس وعظة اذ بالمشاورة والاجتهاد يتغلب الانسان على اكبر الصعاب — وان كنت نجحت فالفضل الاكبر في ذلك عائد الى المصريين من جميع الطبقات مسلمين ونصارى وكثير من الاجانب أغنياء وفقراء وفي مقدمة الجميع صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم وساكن الجنان السلطان حسين وامراء العائلة الملكية وبالاخص سمو الاميرين الجليلين البرنس عمر طوسن والبرنس يوسف كمال وغبطة الاب البطريك ونبافة مطران الاسكندرية اللذين وجدت منهما كل تشجيع. وقد حصلت على تبرعات مالية من كل مذهب اخص منهم بالذكر المرحوم داود بك تكلا. وقد وجدت كل مساعدة في عملي من القمص يوحنا شنوده رئيس كنيسة المعلقة وشقيقه القس مرقس شنوده والدكتور جورجي صبيحي ووديع افندي حنا سكرتير المتحف ويسى افندي عبد المسيح امين المكتبة وكثيرين غيرهم اذكر منهم الدكتور بطر والمستر سومرز كلارك والمستر بازنسون المستشار المالي والمسيو باتريكولو والمسيو فوكار والمرحومين المسيو ماسبيرو وهرنس باشا

المكتبة

(١٦) وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم ايد الله بالعدل دولته واتم على هذه الامة في ظل عهده الميمون نعمته فجعل حفظه الله للمتحف القبطي حظاً كبيراً من عنايته المالية اذ تكرم بزيارته في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٠ وفي معية جلالته الوزراء وكبار رجال الدولة و اشار جلالته باضافة مكتبة الى هذا المتحف تضم كل ما كتب

عن الاقباط وتاريخهم ولغتهم بسائر اللغات وتبرع حفظه الله وانجلاه الكرام لهذا المشروع المفيد بمبلغ خمسمائة جنيه مصري وقد تم بمعونة الله وبمحسن رعاية جلالته انشاء هذه المكتبة . واهدى اليها مجموعة كتب قيمة ورثة المرحوم ميخائيل بك شارويم وكذلك دار الكتب المصرية والمتحف البريطاني والارسالية الفرنسية الاثرية بمصر ومتحف نيويورك وقد وضعنا في مدخلها لوحاً من الرخام نقش عليه العبارة الآتية

« انشئت هذه المكتبة العامة تخليداً لذكرى تشریف حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم هذا المتحف بزيارته الميمونة في يوم الثلاثاء المبارك ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٠ الموافق ١٢ كيهك سنة ١٦٣٧ قبطية » وقد تكرم وساعدنا في ترتيب الكتب بها وانشاء سجلاتها حضرة توفيق بك اسكاروس الموظف بدار الكتب الملكية المصرية

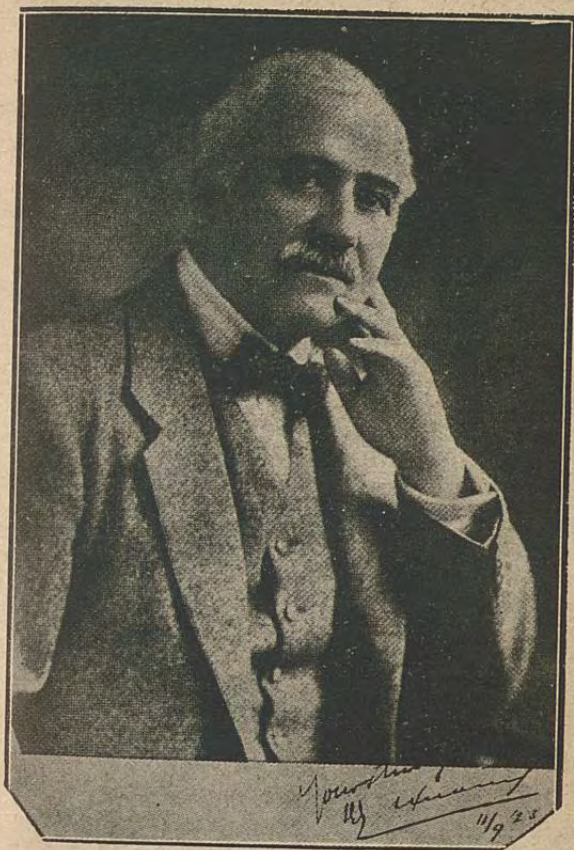
الحصن الروماني

(١٧) انجبت هذه النقطة البعيدة عن مركز المدينة لانشاء هذا المتحف لجملة اسباب اولاً — لان الآب البطريرك لم يسمح بنقل المتحف والذخائر النفيسة التي ستشاهدونها فيه من الاديرة والكنائس التي هي موقوفة عليها واكثرها من الاواني المكرسة للخدمة الدينية الا شرطاً ان تكون في داخل كنيسة وفي عهدة قسوسها ثانياً — ليكون في وسط اهم الكنائس الاثرية كالمعلقة وابي سرجه والسيدة برباره — ثالثاً ليكون داخل الحصن الروماني الشهير الذي شيده الامبراطور تراجان حسب زعم البعض وهرقل حسب زعم البعض الآخر من الثقات وبه الباب الذي دخل منه عمرو بن العاص ومن كان معه من الصحابة واصبحوا من وقتها اسياد البلاد المصرية

وقد تمكنت بمساعدة لجنة حفظ الآثار العربية من ترميم هذا الباب العظيم والابراج التي ترونها

(١٨) وفي الختام اريد ان اقول اني عضو في لجنة دار الآثار العربية ولا بقل اهتمامي بها عن اهتمامي بالمتحف القبطي كما اني اول الساعين في توسيع نطاقها وقد وافني حضرات زملائي اعضاء لجنة حفظ الآثار العربية على طلب سراي بكتاش الكائنة الى جنوب جامع السلطان حسن لتعرض بها الآثار الحجرية والرخامية حتى يتسنى تسهيل ترتيب الآثار الاخرى المكدسة الآن بعضها على بعض في دار الآثار العربية

مرقص سمبكية باشا



السر هنري دترديج
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٢٨٧

ملوك البترول

السر هنري دتردنغ وشركة الدتش رويال

سبق لنا في هذه الفصول ان ذكرنا ثلاثة من ملوك البترول رُكفلر الاميركي ودارمي ولورد بيرستد الانكليزيين وسنخصص هذا الفصل برجل هولندي يعرف في الاندية بالية بنوليون البترول او رُكفلر اوريا وهو مدير شركة الدتش رويال اكبر شركة بترول في العالم وتاريخ ارتقائه انما هو تاريخ اتساع اعمالها وامتداد نفوذها في كل اقطار المعمور لما تحرر الهولنديون من نير الاسبان في القرن السادس عشر حاول بحارتهم ان يكشفوا طريقاً بحرياً الى الشرق الاقصى فوصل احدهم كرنيلوس هوتمان الى صومطرى حيث رفع العلم الهولندي وضمّ اول قطعة ارض من تلك البلاد الى حكومة هولاندا ومن ثم اخذت مستعمرات هولاندا في الشرق الاقصى تتسع وهي تعرف الآن بجزائر الهند الشرقية الهولندية ومنها جاوى وجانب من بورنيو وغرب غينيا الجديدة وجزائر اخرى صغيرة. ومصادر الثروة الطبيعية في تلك الجزائر كثيرة الا ان البترول اعظمها كلها الان وكان الهولنديون على اول عهدهم في مستعمراتهم الجديدة لا يعرفون ما فيها من البترول فحولوا انظارهم الى زراعة التبغ والبن. وفي اواخر العقد التاسع من القرن الماضي اكتشف زلكن احد زراع التبغ في صومطرى آثار البترول على مقربة من ارضه فنال امتيازاً من السلطان الحاكم حينئذ باستخراج البترول واقنع الحكومة الهولندية ان تمده بالهندسين فحفروا بئراً خرج منها ٥٠ برميلاً من البترول النقي في ثلاثة ايام ثم صار ينبع منها ٣٠٠ برميل في اليوم. وكانت سبل المواصلات ووسائل النقل صعبة فمهد طريقاً من البئر الى اقرب مرفأ لنقل البترول وكانت هذه البئر النواة التي انشئت حولها الشركة الهولندية الملكية (رويال دتش) كما سيجي. وكان اناس آخرون قد عثروا على البترول في جاوى وبورنيو فانشئت شركات لاستخراجه وتكريره.

واهتمت الحكومة الهولندية باستخراج البترول فبعثت برجل الى الولايات المتحدة ليتعلم الاساليب المستعملة فيها لاستخراج البترول وتكريره ولما عاد حاول ان يقنع الحكومة بحفرو الآبار على حسابها فاففق فجعل يشتغل لحسابه

ولما هلّ هلال القرن العشرين كان استخراج البترول في جزائر الهند الشرقية

الهولندية متأخراً جداً عما كان عليه في الولايات المتحدة . لان الشركات كان تعمل منفرد احدها عن الآخر ولم يحاول احد ان يوحد العمل بينها حتى يتمكن من التوسع فيه وكان في باتافيا يجاوى رجل يدعى كسلر من اصل الماني هولندي يمثل بيتان البيوتات التجارية الالمانية استرعى نظره امر البترول فبحث فيه ما استطاع وعرف ان له مستقبلاً عظيماً في التجارة والسياسة فذهب الى لاهاي عاصمة هولندا سنة ١٨٩٠ وانشأ فيها شركة دعاها الشركة الهولندية الملكية لاستخراج البترول من آبار الهند الشرقية . وجعل رأسماله الاساسي نحو مائة الف جنيه . فاشترت هذه الشركة امتياز زلكن في صومطري بثلاثين الف جنيه فكانت صفقتها هذه بدء سلسلة من صفقات مالية ثم اكثرتها على يد دترديج جعلتها الآن اكبر شركة بترول في العالم ينضوي تحت لوائها ١٢٥ شركة رأسمالها معاً مائتا مليون جنيه

جعل كسلر مديراً للشركة الجديدة وبدأ للحال ينفذ خطته التي تلتخص في كلمة « الضم » يراد بذلك ضم كل شركات البترول التي تعمل في جزائر الهند الشرقية حتى يوحد العمل ويتوسع فيه

وكانت السنتان الاوليان من حياة الشركة الهولندية الملكية كثير في المصاعب لان جانباً كبيراً من رأس المال انفق على مد الانابيب لنقل البترول وانشاء محطات التكرير . ولكن كسلر رأى ان الحال امامه متسع جداً فلم تقعه المصاعب عن المضي في عمله كذلك كانت الحال في شركة الدتش رويال لما انضم اليها دترديج . ذلك ان كسلر اخذ يبحث عن رجل همام يشترك معه في العمل فقال له احد معارفه ان في باتافيا بلدة بينانغ شاباً يدعى دترديج وهو ذكي همام له مستقبل باهر يجب ان نتعرف به

فارسل يستدعيه ووجد انه كان مساعداً لمدير شركة تجارية هولندية ومن غرائب الاتفاق ان دترديج كان قد اهتم بالبترول واخذ يدرس دقائقه . والسبب الذي حمله على الاهتمام به انه كان يبيع مصابيح البترول في صباه وكان يعتقد كسلران البترول اعظم ما تدور عليه التجارة في الشرق الاقصى . فانفق مع كسلر على ان يشتغل معه ناظر في قسم المبيع وكان ذلك سنة ١٨٩٢ . وللحال ظهرت قدرته فكان الطبيعة كانت تسوق اليه التوفيق في جميع افعاله ولم ينقض زمن طويل عليه حتى صار في مقدمة المديرين في قسم البيع . وفي سنة ١٨٩٦ طلب اليه ان يتولى ادارة قسم المبيع في سنغافورة فبدأ في منصب هذا المناظرة القوية مع الشركات المزاحمة له في استخراج البترول وبيعه في الشرق الانسي

واعظمها حينئذ شركة الستندرد او يل الاميركية التي مر ذكرها حين الكلام على ركفار وبترومل شل. وكانت هذه الشركة لا تزال في اوج قوتها ونفوذها في اميركا وخارجها ولها متاجر واسعة في الشرق الاقصى وخصوصاً في الصين. ذلك ان الصينيين كانوا يستعملون للانارة مصباحاً مولفاً من فتيلة مغموسة في زيت السمك او زيت غيره فجاء رجال الستندرد او يل ووزعوا على سكان الصين الوفاً من مصابيح البترول باثمان بخسة لكي يهدوا الطريق لبيع البترول ولذلك دعيت شركة الستندرد او يل «نور اسيا» وصارت تكتة «ماي فوي» وفي اسم هذا الشركة بالصينية من الكلمات المألوفة عند كل صيني حتى انه لما قبض بعض قطاع الطرق من الصينيين على سيدة اميركية من اقرباء ركفار جعلت هذه تصيح «ماي فوي» وهي العبارة الصينية الوحيدة التي تعرفها فاطلق سراحها. ذلك كان مقام الستندرد او يل في الصين حينما عزم دترديج ان يناظرها هناك. لكن شركة الستندرد كانت قديمة العهد بالعمل ولها نظام دقيق وخطة محكمة تجري عليها فكان من الصعب على دترديج مناظرتها لولا انه رأى ما تنكبده من المشاق في نقل البترول التي تبعة في الصين من اميركا وهو على الضد من ذلك كانت منابع البترول الذي في حوزته اقرب الى الصين من بنسلفانيا او كليفورنيا. وكانت تعوزه وسائل النقل اللازمة فاتفق مع لورد بيرستد مدير شركة «شل» (انظر مقتطف فبراير الماضي) على نقل بترولهم من سومطرى وجاوى الى الصين وغيرها من بلدان الشرق

وكانت شركة شل تباع بترول آل روتشيلد الروسي في الشرق الاقصى فادرك دترديج ان شركة شل التي يستعمل ناقلاتها لنقله بترولهم من مزاحيم في المبيع، فرأى فائدة الاتحاد فأنشئت شركة جديدة تدعى شركة البترول الاسيوية في ٢٩ يونيو سنة ١٩٠٣ لتتولى بيع البترول في الشرق الاقصى وقسمت اسمهما الى ثلاثة اقسام متساوية نالت شركة دنش رويال احدها وشركة شل القسم الثاني وشركة روتشيلد القسم الثالث. فساعد هذا الاتفاق دترديج على تجديد المناظرة مع شركة الستندرد او يل لان اتفاهه هذا اضاف قوة الى قوته فصار في مكانه ان يعتمد على معاضدة بيت روتشيلد المالية ونفوذ الحكومة الانكليزية المعنوي. ولم تمض سنة على الاتحاد الجديد حتى ظهر نفوذه القوي وصار بترول الدنش شل يباع في جنوب افريقية وشرقا وفي استراليا وزيلندا الجديدة واليابان والفيلبين على ان دترديج كان يرمي الى ما هو ابعد من ذلك. رأى ان اتحاد هذه الشركات

على المنوال المتقدم ازال كل مناظرة بينها في بيع البترول ولكنه لم يزل المزاومة بينها في انتاجه. لذلك اراد ان يوحّد بين هذه الشركات في الانتاج والتوزيع فأنشئت شركتان تسيطران على اعمال الشركات المتحدة احدها هولندية دعيت شركة بترول بنافيا وحصر عملها في استخراج البترول وما يتركب منه. والثانية انكليزية دعيت شركة البترول الانجلوسكسونية وعهد اليها في نقل البترول وخزنه وتوزيعه. وجعل رأس مال هاتين الشركتين ٢١ مليون جنيه. وجعلت السيطرة لشركة الرويال دتش. وقد جرى دترديج في عمله هذا على الخطة التي جرى عليها مديرو شركة الستندرد اويل الاميركية وغايته السيطرة على تجارة البترول خارج الولايات المتحدة

ومن الغريب ان لاتحاد شركة الرويال دتش والشل منابع بترول في الولايات المتحدة يستخرج منها ٧٠ الف برميل يوميا. وهكذا تمّ لدترديج ان ينشئ هذه السلسلة المحكمة من شركات البترول التي تستخرجه وتكرره وتنقله وتوزعه على احدث الاساليب واحكمها وقد امتد نفوذها الى كل البلدان التي فيها منابع بترول الا بلاد فارس حيث تسيطر شركة الانجلوبرشن بعضها في ذلك الحكومة الانكليزية التي اشترت جانباً من اسهمها سنة ١٩١٤ لتضمن مقداراً كافياً من البترول لتموين بوارجها

هذا وقد نال دترديج لقب سر من الحكومة الانكليزية مع انه لا يزال محفوظاً بحسبته الهولندية ومكتبه الآن في لندن يدير منه هذه الاعمال المالية العظيمة

قابله حديثاً احد مكاتبي الصحف فسأله هل غايته السيطرة على تجارة البترول في العالم حتى لا تخرسفينة عباب البحر الا وتشترى جانباً من بترولها منه فقال «نحن نغير بالبترول ومن الطبيعي اننا نريد التوسع في تجارتنا الى اقصى حد مستطاع. فالاراضي التي نستخرج منها البترول في جزائر الهند الشرقية نقل رويداً رويداً وليس عندنا اراضي بترول غيرها هناك. لذلك نستعمل اموالنا ومعداتنا ونظامنا الحكم في اماكن اخرى وعلماء الجيولوجيا الذي في خدمتنا يطوفون الارض للبحث عن اراضٍ فيها بترول. فاذا اريد بهذا السيطرة فانها غايتنا»

العرب في التاريخ

٤ هل الشمر يون ساميو الرّس (١)

لما جاء ذكر الشمرين لأول مرة في كلام المؤرخين نقلاً عن الرقم المسماة الكتابية ذهب العلماء مذهبن: مذهب يقول بسامية اصلهم، ومذهب يذهب بخلاف ذلك. واليوم قد ثبت لدى المحققين ان الشمرين ليسوا بساميين، انما هم جيل من الناس كان موطنه الاصلي الديار الواقعة في شمالي العراق في نحو ما نسميه اليوم بلاد كوه قاف (وكما يقول بعضهم قفقاس او قوقاز، نقلاً عن الافرنج)، او فارس، او تركستان، او الصين، من غير ان يعرفوا الموطن الحقيقي

وقد هبطوا العراق ولهم لسان راق وكتابة مسمارية محوّلة عن كتابة مصوّرة، وآداب خاصة بهم، نقلوها معهم الى العراق حين نزولهم فيه، فتلقّاها عنهم بعد ذلك الساميون حينما جاؤهم، وهم الذين بنوا معبد القمر الذي كشفت البعثة الاميركية في مدينة «أور» (المعروفة في العراق بالمقبر) سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤. والشمر يون من نفس عنصر البابليين اذ هو لاء نشأوا من بقايا اولئك ثم امتزج الكل بالساميين واكثرهم من اشور فجاء من مزيجهم العراقيون. وقد ذكرنا هنا الشمرين لان بعضهم حسبوهم من العرب، حتى زعموا ان اهالي «شمر» الحاليين يرتقون نسباً الى «الشمر بين» الاقدمين وقد ذكرنا العرب في العراق لان الاقدمين اعتبروا العراق جزءاً من جزيرة العرب ولان اجدادنا كانوا مبشورين في ارجاء العراق في كل عصر مهما تقدم عهده، بخلاف ما زعمه مؤرخو العرب بعد الاسلام، اذ زعموا ان الناطقين بالضاد لم ينزلوا العراق الا قبيل الدين الحنيف. وهذا الزعم ضعيف غاية الضعف، تفسده، المكشوفات العصرية التي ظهرت في ربوع العراق

(١) الرس كلمة معروفة عند عوام العراق فضلاً عن ادبائه ويراد بها الاصل. وهو ما سماه الانكايون والفرنسيون Race. ويذهبون الى ان هذا الحرف من عالية الالمانية القديمة Reizd. والذي نراه انه من اصل عربي فصيح هو الرس وهو المعدن اي الاصل الذي يبتدأ منه. كما صرح به اللويون. على ان علماء اللغة الفرنسيين قالوا ان اللفظة مأخوذة من اللاتينية radix وكل ذلك محتمل الا ان العربية تؤيده احسن تأييد لما تركب على هذه المادة من المفردات العديدة المثبتة لهذا الاصل

٥- عربية في زمن الفطاحل (١)

مما يسوء ذكره ، قبل الخوض في البحث ، ان سكان جزيرة العرب لم يأذنوا للافريقنج دخول ديارهم دخولاً يمكنهم من التجول فيها والتنقيب في ارجائها ، وكل من حاول تحقيق هذه الفكرة ، اغنيل ، ولهذا لم نر من فعل ذلك في القديم والحديث (٢)

نعم ، ان بعضهم تمكن خفية من نقل بعض رُقم لكن ذلك لا يحل شيئاً من تاريخ تلك الربوع في قديم العهد . وقد عثرت جماعة من الباحثين على بعض نصوص تعول انساباً بيد انها كلها من عهد غير بعيد ولا شأن لها بالنسبة الى القرون المترامية في القدم فعرية جزيرة كما يقول العرب ، او شبه جزيرة على ما يقول المحدثون ، قائمة في قلب العالم العتيق ، نترجح في ارجوحة معلقة اطرافها بأسيمة من جهة وبافريقية من جهة اخرى ، فهي كالجسر تجمع بين بلاد وبلاد

عربة بجواياها واتجاه جبالها وهوائها تعود الى افريقية ، وهي باوديتها تتصل بالعراق وتعتبر منغدره الجنوبي . وتكاد الابحر تحاصر هامن كل جهة . ويدفع عنها في الشمال فلات لا تقطع الأبرق النفس وبوسائل تهق الارواح ، ولهذا عدت دائماً منعزلة عن بقية الدنيا ، واصبحت هي بنفسها عالماً مستقلاً لا صلة له بما حوله ، الا بواسطة اناس أقلاء يترددون الى الشغور للتجارة لا غير . ولذلك بقيت تلك الربوع قائمة بنفسها وبلغتها وبعاداتها وبخلفها وبخلفها عربة تخيفك اذا نظرت اليها من السواحل التي تتردد اليها سفن البحر ، لانها جرداء وصخورها البحرية حارة جداً ، ان جئتها من جهة خليج فارس ، او بحر عمان او البحر الاحمر (٣) عربة من جهة منظرها التفرعي (الجغرافي) الطبيعي تقسم الى بلادين متميزتين : في الجنوب الغربي نجد عريض يمتد على طول البحر الاحمر ويساوي عرضه على التقرب النصف الثاني من الجزيرة كلها ، ويمتد في الجنوب على ساحل بحر الهند ويتصل في الشمال

(١) زمن الفطاحل عند العرب : زمن نوح النبي (عن لسان العرب) فهو ما يسميه الافريقنج بما معناه الزمن السابق للتاريخ Temps préhistorique (٢) حكى لي بعض من اتق بصدقه قال : كنا نحاف هؤلاء الناس اذ كثيراً ما يأتوننا بمجة حجج او صداقة واذا هم جواسيس او اناس غايتهم معرفة اسرار التملك على البلاد . ولهذا كنا نأمر بقتل كل من يأتينا من الزنجية او ممن نعتقد به الجاسوسية من الاتراك الذين نسميهم في بلادنا « الروم »

(٣) اختلف العلماء في اسباب تسمية هذا البحر بالاحمر ولا حاجة الى ان تقف عليها والذي عندي انه سمي بذلك لشدة حرارته على مدى السنة كلها . ومادة ح م ر في اللغات السامية تدل على اللون الذي يلي البرتقالي من الوان قوس قزح وعلى شدة الحر لانهم تصوروا ان الحرارة مولدة من النار وان لون هذه النار الحمرة او لون كالحمرة . ولهذا قالوا حمارة الحر بازاء صدارة البرد

يهضاب تجاور خليج العقبة وبسلسلة جبال سورية . وارتفاع هذا النجد يتردد بين الالف والالفين من الامتار ، ويكون قاعدة لاطواد الحجاز واليمن وحضرموت . وفي هذه الديار جبال يرتفع راسها الى ثلاثة آلاف متر . وفي الشمال الشرقي صحراء عظيمة تكاد تنصف عربة ، فيها بعض مئيل الى خليج فارس والعراق وما فلواتها الا ذيل فلوات جزيرة العرب . وفي نحو آخر هذه المنطقة بجوار مسقط ما يكاد يشبه جزيرة من الجبال يستنزل الندى بعلوه فتجذب تلك الرطوبة اناساً يتطلبونها

او كانت عربة يابسة قاحلة على مدى الدهر ؟ كلا . ان شدة تكاثف الهواء لم تنقطع فجأة بعد الامطار المغرقة التي وقعت في عهد الفيضانات الرابعة . لا جرم ان السهول المنخفضة داهمتها المياه وهي التي حفرتها ، كما انها هي التي استأصلت ما كان ينبت فيها ، واغرقت الحيوانات والبشر التي كانت قد اوت اليها . ولم تنقطع الرطوبة دفعة بل بقيت فيها متمادية في عدة قرون بل في مدة مئات من القرون . والشاهد على ذلك الاودية التي تحترق تلك الصحاري ، وهي لم توجد الا لان المياه خدّدت تلك الارض وجرت الى منخفض بلاد كلدية وخليج فارس . وفي ذلك العهد المترامي في البعد ، ربما بقيت الجبال جرداء لاجتفاف المياه ما كان عليها ، الا ان الفجوات بقيت خصبة تفيض بالبركات والخيرات . وكانت حيوانات البر تتناهبها ، وطيور الجو تغرد على افنان اشجارها الغبراء ، فكان ابن آدم يتبعها ليصطاد منها ما يتمكن منه ليسد به رمقه

بيد انه لا ينكر امر وهو ان القحولة بدت باكراً ، ولم تر نتائج ضررها الا بعد ذلك بكثير ، ولم تكن تلك اليبوسة فجأة ، بل شيئاً بعد شيء على ما تحكم به الطبيعة . ولقد نقل لنا الخلف عن السلف تدرج هذه اليبوسة . فلقد روى سنكن يثن ما ذكره اوسايوس المؤرخ بما هذا معناه . « في الجيل الثاني كان الناس يسمون « جنّا او جأناً » وكانوا يطوون بساط ايامهم في فينيقية ، الا انه داهمتهم بؤسة شديدة فرفعوا اكفهم الى الشمس التي كانوا يعتبرونها مولى السماوات الوحيد . » اه

جرت هذه الطواري في عنق الدهر ، ولقد تجددت امثالها فاضطرت القبائل الى هجر ديارها والظعن الى ربوع يرعون فيها ماشيتهم ويحنون من اشجارها ثماراً طيبة ثبت لنا بلينيوس « ان الرقعة الواقعة بين خليج العقبة ومدينة خارك في اصقاع كلدية كانت أهلة وكان سكانها يعرفون باسم العانيين (غير اهل عُمّان الحاليين) وكان لهم فيها مدن عامرة وبلدان مهيبة ، الا انهم اضطروا الى مغادرتها لفيض الماء . وهذه الرقعة هي

اليوم فلوأت واسعة الاكفاف تسفي الرياح رمالها ويعدو فيها الرسل اصحاب البُرْد من العرب وهم يذهبون من بغداد الى الشام في تسعة ايام يوجفون فيها ركابهم ولا يرون فيها الا ماء تين والافحي خراب بباب . « اء كلام بلينيوس

ولنسألنفسنا عن ماضي عربة في عهد الثلوج . لا غرو ان جبالها الضخمة الجليلة ، كان لها زمن كثرت فيها المثالج على حد ما كثرت في لبنان وديار الحبشة ، الا انها لم تدم زمناً مديداً لقربها من خط الاستواء فكان ابن آدم يأوي الى هذا الحوض الواسع حوض بلاد العرب والعراق ، على ما يرى من الادوات من العهد الشلي^(١) وهي ادوات تغرز في الصحراء المتسعة الممتدة بين سورية وعربة ، على حد ما تشاهد في ديار مصر وسورية وربوع الصمالي

من اين جاء الانسان تلك البلاد ؟ — فلنتدبر المواطن ليصح حكمنا فيه

٦ اول امرئ سكن بلاد العرب

هل هبط عربة قادماً اليها من الشمال ؟ ام طراً عليها من افر بقية ام نشأ في قلبها ؟ قال العلامة جاك دي مرغان مجيباً عن هذا السؤال^(٢)

« ان فرضنا ان الانسان الاول الذي هبط عربة جاءها من الشمال السيري ، تغذر علينا التمسك بهذا الفرض والسبب هو لانه لم تكن صلة ممكنة تصل سيرية بأسية المتقدمة منذ الازمان الكثيرة الحداث (الپليوسين) الى نهاية حقبة المثالج . فلو كانت اجداد الساميين انحدروا من الشمال لكانوا في حالة البشر الثالثين ، ولو وجد هؤلاء البشر ، لما نقلوا الى مقامهم الجديد ذرء اللسان السامي ، على ما يحكم به الطبع عفواً . فوجب

(١) العهد الشلي وبالفرنسية Chelléen نسبة الى شل Chelles من اعمال سين ومازن في فرنسة حيث رثيت — على ما يظن — بقايا صادقة لا ريب فيها تدل على انها اعمال من صناعة البشر وهي غير مختاطة بشيء آخر بل مرتبطة احسن ارتباط بالحيوانات الخاصة ببداية العهد الرابعي من طبقات الارض . وهذه البقايا هي طران او صوان نحتت نحتاً على مثال شطاباغية متطايرة وقد زلت من اطرافها الحادة ومن رؤوسها

وضعت لفظة « الشلي » بدلاً من كلمة « آشولي » acheuléen التي كان تد اطلقها العلماء في بادىء الامر على هذه الحقبة لان آثار الانسان التي وجدت في سنت آشول (في صوم من اعمال فرنسة) — واليا نسبت الى آشولي — كانت بعد تاريخ البقايا التي عثروا عليها في شل والخلاصة ان الطور الشلي في علم الانسان يفيدنا اليوم عن بدء الحقبة الرابعة في علم الهك (الجيولوجية) كما ان الاشولي ينبئنا عن ختام الطور الشلي وكلاهما يسبق مباشرة الطور الستري الذي كثيراً ما يصعب تمييزه عن الطورين السابق ذكرهما

(٢) J. de Morgan. — Revue de Synthèse Historique
T. XXXIV, No, 101 — 102

أن لا يكونوا — وهم في جاري الزمن الكثير الحداثة — الأَخلاق في نهاية الاولية مجاورات في ظاهرها الحيوانات العجم . هذا فضلاً عن انه لم يكن فيهم دافع يدفعهم الى الظن الى عربة دون الاقامة في تالد اجدادهم

« في مجرى تلك الازمنة الممتازة بمثلها كانت جبال البنطس وجبال قاف (قوفا) ونجد ارمينية ويران خالية من كل انيس الى ذلك العهد لما تراكم عليها من الثلوج ، فلم يسكنها الناس الا بعد ان مضت عليها ادهار وكان من اللاؤاء مجاوزتها
« ولعل قائلًا يقول : ان الناس انحدروا اليها من هضاب آسية المتقدمة الشمالية ؟
ان هذا الامر لا يصدق الا قليلاً ، لانهم لو فعلوا ذلك لاضطروا الى قطع ارض الفراتين ، ويؤمن لم تجزر تلك الرقعة ، ولاسيا كلدية ، اذ ليس ما يدلنا على عبورهم تلك الاصقاع .
وعليه كان هذا الرأي خاطراً من الخواطر لا اساس له »

« وان قال قائل : ان أول سكان عربة جاؤوها من لوية . قلنا هذا الرأي لا يرضينا ، لانه لا يرى في قسم افريقية المقابل لعربة ادنى اشارة تشير الى عبور الساميين .
فالقبائل الرابعة كانت مخيمة في الارعاء التي يرى فيها الى هذا الوقت اثارها من القدموس اي الحجارة القليلة (الباليوليثية) وكانت الاهالي متفرقة بلا ادنى ريب وكان لكل من القبائل ما يرزقها في ارضها بكل سهولة ويسر . زد على ذلك نشوء المثالج على جبال الحشة كان قليل الشأن ، فلم يكن ثم مسوغ ليضطروا الى مغادرة ديارهم والتطويع في الجاهل . والذي نراه وقوع ما هو بعكس هذه القضية ، فلقد ذكر لنا التاريخ المدون ان الساميين شطوا عن مراتعهم ارياداً للمنازل يستعمرونها وهي واقعة في ما وراء البحر الاحمر في منتجع غير سامي . واذا اردت مزيد تحقيق عارض اللغات اللوية باللغات السامية فانك لا ترى فيها ما يمت بعضها الى بعض بنسب ما . كما لا ترى فيها ما يصل بعضها ببعض في قديم الزمن ولو عكست الامر لكان الخلاف هو الاقرب الى الواقع

« فلم يبق معنا الا القول بان عربة هي الموطن الحقيقي للساميين وذلك « بعد العهد الاحدث » المعروف عند الافرنج باسم post-pleistocene ففي ذلك المربع نشأت القبائل ونمت وفشت من غير ان تؤثر عليها طائفة من الطوائف الغربية عن اصلهم

« ويتكهن بعض علماء المصريين ان ديار مصر سكنها اقوام جاؤوها من بلاد فنت . وبلاد فنت هذه في نظرهم هي عربة ، ولم يكونوا من جذم سامي . ولا اظن ان هذا الرأي قائم على سند مكين ، لاسباب منها : ان اول من دفع بلاد مصر الى الحضارة كان

من الآسوتين (لعلهم من الشمر بين الأكديين) وكان الساميون عهدئذ قد تبحروا في
عمرانهم قبل ان يهوا في وادي النيل . ومن تلك الأدلة ايضاً ان صناعة الحجر في ديار
الفراعة ذات تشابه وتناسب بحيث اذا دخل عليها عناصر افريقية او آسوية غير سامية
فلا يكون ذلك الا في عهد مجاور لقدم الشمر بين الاكديين

«وعندي ان الديار المجاورة لوادي النيل بقيت زمناً مديداً خالية من السكان بعد
الفيضانات الرابعة وقد بلغت تلك الفيضانات درجة حتى انه لم يستطع احد ان يعيش
بعدها ، لانك اذا زرت اليوم اعلى ضهور جبالها رأيت عليها غزيراً وليس في ربوع مصر
كلها معقل يلجأ اليه الانسان هرباً من الغرق بخلاف ما وقع على جبال پريغور Périgord
والپرانس Pyrénées وپروڤنسه Provence وزد على ما ذكره من الأدلة ان موقع
الڤنط Pount لم يعرف الى اليوم على التحقيق ، كما انه من الجرأة ان يوضع في جزيرة
العرب اناس غير ساميين ، حين ليس لنا من البراهين لمناصرة هذا الرأي القائل الا
اشارات مبهمه وردت في نصوص ربما لم تفسر تفسيراً حسناً (ولا اقول لم تفسر حسناً من
باب القطع) بما يتعلق ببلاد ڤنط

« فيؤخذ من هذه الاعتبارات انه لم يعيش بعد الفيضانات التي اهلكت سكان
مصر والصحال وسقي الفراتين في انحاء الشالية والوسطى الا جماعات قليلة العدد او كثيره
لجأت الى اودية شوامخ ديار العرب فتناسل القوم وعادت البلاد آهلة . ولا جرم ان
البلاد المجاورة للبحر الاحمر وجبال حضر موت كان لها ما وقع للضباب الاوربية ، ولا
اشك في ان يكشف يوماً في مغاور البلاد المذكورة آثار مصنوعة في عربة على مثال ما
وُجد منها في غربي اوربا وتونس والجزائر من عهد الحجر الاول او القدموس^(١)
(العهد الارخيو ليتي) . اه كلام البجائة الفرنسي
فهر الجابري

(١) القدموس في العربية : القديم من كل شيء . واطن ان الوضع الاصلي كان للقدم من
الحجر ثم توسعوا في معناه . والكلمة المنحوتة من « قديم » و « لطاس » بتقدير حجر . والحجر
اللطاس (بتشديد الطاء) هو ما تكسر به الحجرة . واللطاس مشابهة لليونانية ليطوس اي حجر .
فيكون معنى قدموس الحجر القديم . وكان اول سبب اتخاذ الانسان للحجر هو تكسر حجر آخر
دونته صلابه وهذا معنى اللطاس في العربية

وقدموس موافق لقول الافرنج « أرخيو ليتي Archéolithique » وهي مركبة من ارخاوس
اي قديم و ليطوس اي حجر . ومحصله الحجر القديم كما هو معنى القدموس . والافرنج لفظة اخرى
ترادف المذكورة وهي « paléolithique باليوليتي » المنحوتة من اليونانية بلايوس اي
قديم و ليطوس اي حجر . ومحصل معناه يؤدي ما ادته من المعنى كلمة « أرخيو ليتي » اليونانية
وقدموس العربية والمراد بذلك عند الهالكين (الجيولوجيين) اقدم عصر من اعمار الحجر

آثار البتراء

مدينة منحوتة في الصخر

كانت البتراء الى عهد قريب مدينة مطوية في صدر البداء لصعوبة الوصول اليها . اما الآن فقد صار في مستطاع السائح ان يصل اليها بالسكة الحديدية وبسيارة فورد . يسافر من القدس الى نهر الاردن بالسيارة ثم يجتازهُ على جسر (كبري) يدعى جسر النبي الى عمان عاصمة امارة شرق الاردن . ومنها يسافر بسكة الحديد الى معان فيصلها في ثنائي ساعات الى عشرة . ومن معان يمتطي جملاً او حصاناً الى البتراء فيصلها في نحو ٦ ساعات . وقد زارها حديثاً المستر شيبستون عضو الجمعية الملكية الجغرافية ببلاد الانكليز فكتب عنها فصلاً شائقاً في مجلة الدسكشري فاعدنا بعض ما كتبناه عنها في المقتطف منذ ٣٠ سنة وشفعناه بمقتطفات من مقالته في وصف اعظم آثارها ليرى ابناء الشرق ان اطراف بلادهم المحسوبة الآن قفاراً ومفاوز كانت غاصة بالسكان وكان فيها مدن ضخمة تزد غارات اليونان والرومان وان ما صليحت له منذ مئات الاعوام تصلح له الآن اذا بذلت المعة في اعادة العمران اليها . قلنا :

«على منتصف المسافة بين ايلة وبحيرة لوط قبر هرون وعين موسى حيث يقال ان هرون اخاموس مات ودُفن وان موسى ضرب الصخرة فشققها وخرج الماء منها لسقيا بني اسرائيل . وهناك منفرج بين جبال الشراة فيه آثار مدينة قديمة كانت محط القوافل بين بلاد فارس وبلاد مصر وبين الهند والبحر المتوسط وهي التي سميت في التوراة سالع وسمّاها اليونان والرومان بتراء ولعلها البتراء الواردة في ما ذكره ابن هشام عن غزوة النبي لبني لحيان حيث قال انه سلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقه الى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء . وظن بعضهم انها هي الرقيم التي ذكرها ابو الفداء حيث قال : ومن الاماكن المشهورة بالشام الرقيم وهو بليدة صغيرة بقرب البلقاء ويوتها كلها منحوتة من الصخر كأنها حجر واحد . ولكن ذلك بعيد لبعده البلقاء عن جبال الشراة

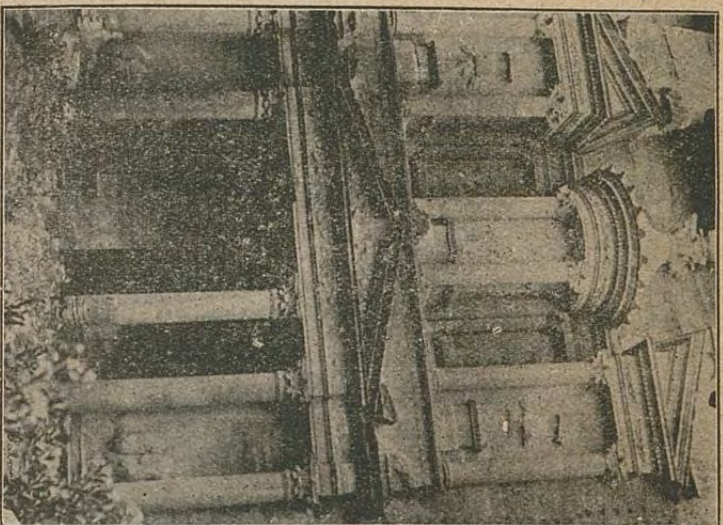
» ومعنى البتراء باليونانية الصخر او الجندل وهذا معنى سالع اسمها بالعبرانية . ومعنى سالع بالعربية الشق في الجبال . ومن الغريب ان منفرج الجبل الذي يوصل به الى اطلالها يسمى الآن شقاً كأنه مرادف لاسمها العبراني

«وكانت البتراء للادوميين ثم تغلب عليها النبط جاؤوها من العراق العربي وكانوا اهل حضارة وتجارة ولغتهم كالارامية وحروفها كالحروف الكوفية والمظنون ان الحرف الكوفي مشتق منها . وجاء في التواريخ القديمة ان انتيغونس احد قواد الاسكندر المكدوني الذي توفي سنة ٣٠١ قبل المسيح بعث حملتين على النبط في بتراء بعد ما استولى على سورية وفلسطين الاولى بقيادة قائد اسمه اثينيوس فهاجم بتراء سنة ٣١٢ قبل المسيح ورجلها غائبون عنها في سوق عمومية وغنم منها غنمة وافرة من المر واللبان وخمس مائة وزنة من الفضة ولما عاد اهلها ورأوا ما حل بهم اقتفى اثره ثمانية آلاف منهم وبيتوه وقتلوا اكثر رجاله . والحملة الثانية بقيادة ابنه ديمتريوس وبلغ خبره النبط فامتنعوا عليه ولم ينلهم منه مكروه

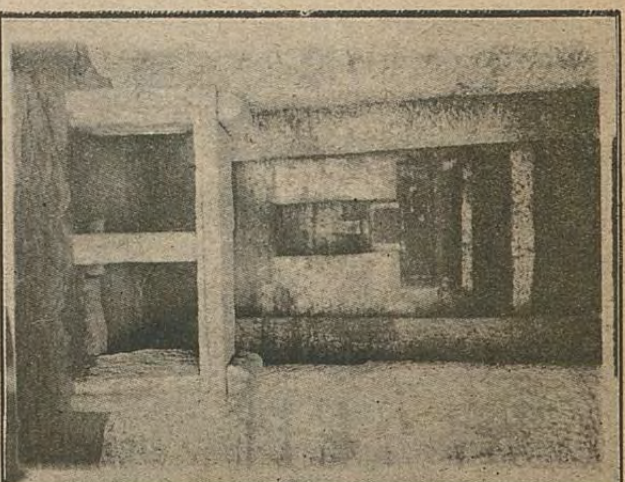
«وذكر سترابون المؤرخ النبط في ايام اغسطس قيصر فقال ان عاصمتهم بتراء وفد سميت بذلك لان الصخور تحيط بها من كل ناحية وفيها مياه غزيرة لسقي بساتينها . واكثر الارض حولها قفار ولاسيا في ما يلي اليهودية . وكان تجار الهند والعرب يأتونها ببضائعهم وينقلونها من هناك الى العريش وزادت هذه التجارة في ايام الرومان فاخطوا طريقا لها من ايلة الى بتراء فدمشق وطريقا اخرى من بتراء الى اورشليم وعسقلان وثغور الشام «واتى الفيلسوف اثينادورس صديق سترابون الى بتراء واستوطنها مدة ورأى فيها

كثيرين من الرومانيين وغيرهم من الغرباء وكانوا مستوطنين فيها «وذكرها بلينيوس في القرن الاول المسيحي وقال ان النبط يسكنون مدينة اسمها بتراء في وادٍ اقل من ميلين اتساعا تحيط بها جبال لا تسلك وفيها نهر جار «وقال يوسفوس ان الاسكندر ملك اليهود حارب عبيد ملك العرب (سنة ٩٣ قبل المسيح) وكان عبيد قد اقام له كميناً في وعرة عسر المسالك في الجولان فدخل الاسكندر وادياً عميقاً هو ورجاله ولم ينج منه الا بشق الانفس

«ثم ذكر كيفية استيلاء ملوك النبط على دمشق فقال ان انطيوخس آخر ملوك السلوقيين قصد الحرث ملك بتراء فابعد الحرث من وجهه اولاً الى حيث تمكنه البلاد من مناجزة ثم انقلب عليه بقتة بعشرة آلاف فارس من فرسانه فكاد جنود انطيوخس يولون الادبار ورأى منهم ذلك فاسرع الى لم شعتهم وتشديد عزائمهم فاصابته ضربة قضت عليه وتفرق شمل رجاله بعده وانهمز الذين نجوا منهم الى قرية قانا فماتوا جوعاً . وكان اهلها دمشق بكرهون بظليموس فدعوا الحرث ملك العرب وملكوه عليهم



خزنة فرعون في البتراء
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٢٩٩



الفراخ المعاري كما تراه في مقبرة الأمير مينيخو بأسوان
والعمد اسطوانية الشكل
مقتطف مارس ١٩٢٦
انظر الصفحة ٣٠٢

« وخضعت بتراء للرومانيين في عهد تراجنس في اوائل القرن الثاني للمسيح وسماها سكانها باسم ادريانس اكراماً له وضرربوا تقودهم باسمه. ثم ذكرت في القرن الرابع والخامس والسادس وحضر مطرانها جرمانوس المجمع السالوتي سنة ٣٥٩. ومطرانها ثيودورس في المجمع الاورشليمي سنة ٥٣٦ ولم يبق منها الا شيء من مدافنها وهياكلها وكلها منحوتة في الصخر على جانبي الوادي وهي من اعجب ما صنعه الناس »

وقال المستر شيبستون: آثار البتراء فريدة بين عجائب الشرق وبقايا الحضارات البائدة. تجدد في خرائب بعلبك وتدمر انقاضاً من الآثار الفخمة ولكنك تجد في البتراء « الساكنة في محاجي الصخر » على ما جاء في سفر النبي عوبديا هياكل ومسارح ومقابر ومنشآت لم تلبها يد الفناء باذى وهي لا تزال حافظة للرونق الذي كانت عليه يوم نحتت من الصخر هذه الآثار تدهش السائح بتعدد ما يراه فيها من اساليب البناء عند القدماء فتري في الآثار القديمة منها مزيجاً من الفن البتراوي والفن المصري واما المنشآت التي نتلوها في القدم ففيها آثار للفن اليوناني والفن الروماني

المرئقي من معان الى البتراء شاق فيمر السائح تحت جبل هرون الذي سمي كذلك لأن هرون مات هناك حسب خرافات البدو وقبل الوصول الى الآثار يمر في مضيق بدعي الشق يختلف ارتفاع جانبيه من ٢٠٠ قدم الى ٥٠٠ قدم ثم يدخل وادياً هو موقع مدينة بتراء فحججه من كل جانب منشآت عظيمة معقدة منحوتة في الصخر

هذا الوادي طوله نحو ثلاثة ارباع الميل وعرضه يختلف من ٥٠٠ ذراع في الطرف الواحد الى ٢٥٠ ذراعاً في الآخر. والجبال المحيطة به تجعله كعش النسر في شامخ التعم منيع الجوانب لا تطاله غارات الاعداء. هذه المناعة وكون المدينة التي نشأت هناك من اكبر محطات القوافل السائرة بين البحر الاحمر وشمال سورية جعلها من اعظم المدن في ذلك العهد

تجد عند مدخل الوادي ما سمي خزنة فرعون وهي من عجائب المشرق ومن احدث منشآت البتراء اذ يقال ان الفضل في انشائها يعود الى الامبراطور هدريانوس الذي زار هذه المدينة سنة ١٣١ م. وانشأ فيها هيكلًا للالهة ازيس. والصخر الذي نحتت منه وردي اللون وهي لا تزال سليمة قائمة بجدرانها واعمدتها ونقوشها. تأنف واجهتها من صفيين من الاعمدة احدهما فوق الاخر في كل صف منهما ستة اعمدة بينها محادع تحوي تماثيل منحوتة من الصخر ايضاً. والعمودان اللذان بتوسطان الصف العالي

مثال مصغر لهيكل في اعلاه قارورة يقول العرب انها تحوي كنوز فرعون . وارتفاع خزانة فرعون هذه سبعون قدماً ولها باب مزخرف بالنقوش يدخل منه الى غرفة مساحتها نحو مائة قدم مربعة خالية من الزخارف . وهناك ثلاث غرف اخرى اصغر منها

ويرى السائح على الجانب الايسر من الوادي مسرحاً مدرجاً في نصف دائرة منحوتة درجاته في الصخر يكتفي لجولس ثلاثة آلاف وعلى مقربة منه كثير من الاعمدة والمدافن التي تختلف في حجمها كما تختلف في اسلوبها الفني

واكبر خرائب البتراء اذا صحح ان ندعوها خرائب هيكل يعرف « بالدير » وهو يشبه خزانة فرعون في هندسته علوه نحو ١٥٠ قدماً وطوله كذلك تقريباً . مؤلف من صفيين من الاعمدة احدهما فوق الآخر

وفي جانب الوادي الايمن او الغربي آثار قصر يدعى قصر فرعون ولا ريب في انه كان هيكلًا لاننا رأينا فيه مذبحاً ووراءه سلم منحوتة في الصخر تؤدي الى قمة اكمة حيث مكان الذبائح قترى مذابح وبركة للماء وفناءً فسيحاً كلها منحوت في الصخر

اما المدافن في البتراء فلا يقل عددها عن ٨٠٠ مدفن . وقد اكتشف السير الكسندر كندي مدافن جديدة لم تكن معروفة قبلاً وعندني انه اذا جرى البحث في هذه البقعة على اسلوب علمي دقيق ووجدت مدافن اخرى . بعض هذه المدافن نحتة الانباط والبعض الآخر نحتة اليونان والرومان ومن انغمها مدفن يدعى « مدفن القارورة » وهو عشر غرف كلها فارغة الآن ومساحة اكبرها ٦٠ قدماً مربعة . وهناك مدفن يعرف بمدفن الحاكم دُفن فيه سكستس فلورنتيئس احد حكام البتراء من الرومان . وهو اشبه بهيكل منه بمدفن فيه اعمدة مستديرة واخرى مربعة وتماثيل ويعلوه نسر باسط جناحيه

وقد كان يجري في هذا الوادي نهر ولكنه غاض الآن ولا تزال اثار الجسور (الكباري) التي كانت تصل بين ضفتيه ماثلة للعيان . وهناك آثار نفق نُحت في الصخر عند مدخل الثقب كان سكان البتراء يجرون فيه مياه النهر حين فيضانه . وقد كان طول هذا النفق ٣٣٠ قدماً وعلوه ١٩ قدماً ونصف قدم وعرضه ١٦ قدماً ونصف قدم . كذلك يستطيع الباحث ان يرى آثار قناطر المياه التي كانت تُجر بها مياه الشرب وقد كان لهذه القناطر مدخل مزخرف كقوس نصر نقشت عليه تماثيل وصور تجعله من ابداع الآثار وانغمها

الفنون الجميلة والبناء

عند قدماء المصريين

١

قبل عهد الاسر الفرعونية — (اي قبل سنة ٣٤٠٠ قبل الميلاد) : —

بنى اهالي ذلك العصر منازلهم بسعف النخيل المخلوط بالطين والراجح انهم استعملوا اللبن للقرض نفسه . اما اثاث تلك المباني فكان بسيطاً سليم الذوق ومنه الملاعق العاجية ذوات الايادي المزخرفة ورغم جهلهم آلة الخزاف الحديثة زانوا وانهم الخزفية بالرسوم الهندسية البديعة وصور الحيوانات والسفن والناس والطيور والاسماك والاشجار . وكانوا يطلون خزفهم بمادة زجاجية مع انهم لم يصنعوا الآنية الزجاجية مطلقاً . وقد عثر على تماثيل كثيرة خشبية وعاجية وحجرية من تلك العصور غير متقنة الصنع تمثل مبادئ فن الحفر الذي بلغ شأواً بعيداً في مبدأ حكم الاسر التاريخية . وبمرور الزمن ابدلت الصناعة الخزفية بالحجرية فاخرج الحفاريون اواني حجرية بديعة . وينسب الى هذا العصر اقدم الآثار الحجرية المصنوعة من الصوان

عهد الاسر الاولى — (من سنة ٣٤٠٠ الى سنة ٢٦٨٠ قبل الميلاد) : —

ارتقى فن الحفر والنقش كثيراً في هذا العصر كما يستدل من الألواح الارذوازية التي وجدت في جهة مدينة الكاب حيث ثبتت مهارة الاقدمين في الرسوم البارزة ولما حكمت العائلة الثالثة القطر بدأ الحفاريون يتقيدون تدريجاً بنظام واحد اضطر في آخر الامر ان يراعيه كل حفار ولا يحمده عنه . والفضل في اكتشاف اخبار تلك الامر يرجع الى حفائر الاستاذ بيري في جهة العرابة

عهد الدولة القديمة — (التي حكمت القطر المصري من سنة ٢٦٨٠ الى سنة ٢٤٧٥

قبل الميلاد) : —

بلغت الفنون الجميلة في هذا العهد مبلغاً عظيماً وهي تمتاز عن امثالها في العهد اليوناني بنطاقتها للواقع واقتصارها على الادوات المنزلية والاحوال المعاشية . من ذلك كثرة رسم زهرة اللوطس (النيلوفر) على ابدى الملاعق وكؤوس الخمر وصنع ارجل السرر

والمضاجع في شكل سيقان الثيران وتزيين السقف بالنجوم تشبيهاً لها بالسماء واستعمال العمدة التي على شكل جذوع النخيل وسوق البردي وحزم البشنين وزخرفة اراضي القصور بمنظر المستنقعات الحاوية للثيران وانواع الاسماك والطيور

وعليه فالفنون الجميلة وقتئذ كانت مقتصرة على الاشياء النافعة لان المصري لم يهتم بانقان الهيئة او الشكل من اجل الجمال والرواق فقط وهذا الامر يشاهد ايضاً في تماثيل تلك العصور فانها لم تصنع لعرضها في الاسواق بل لنصبها في القبور لما لها من الفائدة في العالم الآخر وهذا من اهم الاسباب التي حدت الى تقدم فن الحفر في تلك العصور وتمايز رسوم المعابد والتقوش التي على جدران هياكل المملكة القديمة ببروزها وهو امر يقتضي مهارة عظيمة في تقدير درجة البروز وتناسب الحجم — وهما امران نختتم مراعاتهما في رسم الاشياء الكروية او البارزة فوق مسطح مستوي. وبالرغم من تقدم الرسم عند المصريين ومعرفتهم بخطأهم فيه فانهم لم يغيروا النهج الذي جرى عليه اجدادهم وهو يتلخص في رسم اوجه الاشخاص واكتافهم كما تشاهد من الامام اما باقي الجسد فيرسم كما يرى من الجانب. وبالرغم من هذا الخطأ فان الرسوم جاءت غاية في الجمال

كان الحفار المصري حينئذ الوحيد في تمثيل جسم الانسان على الاحجار ولما كان اهل زمنه قليلي الملابس برع هو بطبيعة الحال في تمثيل العراة. وما يشاهد من الاتقان في ظاهرها تماثيل المملكة القديمة سببه انها لم تصنع لتمثل امراً خاصاً. لذلك لا يرى الانسان عليها ملامح الانفعالات النفسية التي تتخلج في نفوس اصحابها

ولم يعثر حتى الآن على اثر منازل كبيرة او صغيرة من تلك العصور سوى المصاطب الحجرية الضخمة. واهم ما بلغه فن البناء في ذلك الوقت اقامة المصاطب والاهرام والمعابد اما هندسة المعابد فتتلخص في تخاطيط عمودية وأفقية متقاطعة غاية في البساطة ومع ان بناء القبور كان معروفاً الا انه لم يستعمل كثيراً. اما السقف فكانت تقام على عمد من الجرانيت بعضها مضلع رباعي الشكل والبعض الآخر اسطوانية. وتعتبر هذه العمدة اقدم العمدة التي من نوعها في فن البناء. وارتقت صناعة العمدة في عهد الاسرة الخامسة فصنع منها كثير على هيئة النخيل او سوق البردي مع تناسب حجم الاجزاء. ولم يتوصل اهل بابل الى استعمال العمدة رغم تقدمهم الكثير في تشييد المباني الضخمة وهكذا يعود الى مصر نحر السبق في حل لغز تشييد الفراغ المعماري كما نرى في

الدولة المتوسطة — وبدأ تاريخها من سنة ٢١٦٠ وينتهي في سنة ١٧٨٨

قبل الميلاد : —

لم يحفظ لنا التاريخ من اثار الدولة المتوسطة الا القليل . لكن يستدل من مقابر ذلك العصر ان صناعة البناء حينئذ بقيت كما كانت في المملكة القديمة . ولوحظ ان المعبد المدرج الذي شاده احد ملوك العائلة الحادية عشرة بالدير البحري في ناحية الاقصر اتخذهُ احد كبار مهندمي البناء في عهد الامبراطورية نموذجاً للجاني واستنتج من البقية الباقية التي وجدها الاستاذ بيري مكان قصر اللغز (اللابرنث) ومن وصف سترابون لذلك القصر ان ذلك البناء كان غاية في العظمة والابهة بصرف النظر عن حجمه وضخامته اما بناء المنازل فاعدمت آثاره كلية . وقد عثر الاستاذ بيري على خريطة لمدينة اللاهون بالقرب من هرم سيزستريس الثاني تظهر رسم احياء العمال واتصالها بعضها ببعض وتكديسها بعضها فوق بعض . والحق يقال اننا لم نهتد للآن الى منازل سراة القوم لذلك تجد معلوماتنا عن عمارتها نزره

ونقدمت الفنون الجميلة في هذا العصر عما كانت عليه ايام المملكة القديمة . فبلغ حفر الاجمار درجة كبيرة من الاتقان وضخامة الحجم . من ذلك تمثالاً أُنمِحت الثالث المنصوبان على بحيرة مورييس بالفيوم فان ارتفاع كل منهما يبلغ احد عشر متراً . ثم اخذت التماثيل تكثر في كل انحاء البلاد وهي تشهد للمصريين بالمهارة في فن الميكانيكا والتصوير . ويلاحظ من مقارنة تماثيل العائلة الثانية عشرة بتماثيل المملكة القديمة ان الاولى اقل مشابهة للحقيقة واضعف تأثيراً في النفوس لان المثال (النقاش) اصبح مضطراً لمراعاة بعض القواعد القديمة دون ان يجيد عنها . لذلك اخذ الملوك والامراء يرجعون في صناعة تماثيلهم الى الاحوال والاشكال القديمة فتأخر بذلك فن الحفر من حيث الزهو والمطابقة للواقع عما كان عليه ايام المملكة القديمة . لكن عثر بعض الباحثين على تماثيل او اجزاء تماثيل لا تظهر عليها اثار التكلف في الصنع وتنجسم فيها معالم الحياة ونقاسيم الوجه وتفاصيل العضلات وتؤخذ هذه التماثيل برهاناً ساطعاً على مهارة صنّاع تلك العصور وطول صبرهم . وبديهي انه كلما لانت مادة الحجر الذي يصنع منه التمثال زادت مقدرة المثال على اظهار براعته في النقش والتمثيل . خذ مثلاً تمثال الامير (اوب رع) الذي في المتحف المصري بالقاهرة فيه يتجسم جمال الحيأ ولطافة معالم الجسم

الدكتور حسن كمال

الرحالة دوتي

Charles Montagu Doughty

توفي الرحالة الانكليزي تشارلس منتاغيو دوتي عن ٨٢ سنة قضاها في البحث والاستكشاف والتأليف . وكان رحلته بالغريث في بلاد العرب وقعت من نفسه مؤلفاً عظيماً فشد مطايها اليها سنة ١٨٢٦ . ترك دمشق الشام مع قافلة من قوافل الحج وعرج على الحجر وهي محطة صحي للحجاج وغايته البحث في المدافن المنقوشة في الصخور في مداين صالح والعلا . وبعد ما صور المدافن ونقل الكتابات المنقوشة عليها ارسل نسخاً منها الى الفيلسوف رنان بياريس وعزم ان يضرب في الصحراء . وكان شيخ قبيلة الفُقرا قد حماه فتمكن من الجولان في البلاد الواقعة بين الحجاز ونجد وزار تيماء حيث عثر على حجر نقش عليه كتابات تاريخية، اخذه الرحالة هو ير فيها بعد الى باريس وهو في متحف اللوفر الآن وفي الصيف التالي ذهب الى حابل ثم الى خيبر حيث وجد الحاكم ورجاله السود من المتعصبين فاساووا معاملته وهددوه بالقتل . فعاد الى حابل واتفق ان عودته اليها كانت في غياب اميرها فامر الحاكم بمغادرتها . على انه وجد من يحميه في منازل عذره حيث قضى شهوراً وبعد ما لقي ضرراً من المخاطر والمصاعب وصل الى جدة

وبعد عودته الى بلاد الانكليز نشر وصف رحلته في كتاب سماه Arabia Deserta اي صحراء بلاد العرب في مجلدين كبيرين يحسب الآن عند اهل العلم من المراجع التي يرجع اليها في درس جغرافية بلاد العرب واخلاق سكانها . طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٨ فلم يسترع انتباه العلماء ولكن ذكره اخذ يشيع بين اصحاب الاسفار والرحلات وعي الادب فنفت نسخ الطبعة الاولى فاعيد طبعه سنة ١٩٢١ وجعل ثمن المجلدين نحو ٩ جنيهات ونصف جنيه . ولما شاع اسم دوتي بين رجال الرحلات منحه الجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩١٢ وسام مؤسسها الذهبي . وقد كتب كتباً اخرى ولكن شهرته قامت على كتابه هذا عن بلاد العرب . وقضى الشطر الاخير من حياته في نظم الشعر والروايات التمثيلية الشعرية منها « الفجر في بريطانيا » شعر من نوع الاپيك في ٦ مجلدات طبع سنة ١٩٠٦ و « الغيوم » طبع سنة ١٩١٢ و « الجبابرة » طبع سنة ١٩١٦ و « منسول او لغز العالم » طبع سنة ١٩٢٠



افعى اضربت عن الاكل تُطعم غصبًا



بيشون هندية تضغط على فريستها
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٣٠٥



بيشون افريقية تبتلع طائرًا كبيراً
مبتدئة من رأسه

طبائع الافاعي الكبيرة

وبعض الاوهام الشائعة عنها (١)

الشائع عند العامة ان كل افعى كبيرة من نوع البواء والحقيقة ان وجود البواء مقتصر على مناطق اميركا الاستوائية . وهي كثيراً ما تكون اصغر جداً من الافاعي التي توجد في اسيا وافريقية ويطلق عليها اسم البيثون . والبواء يندر ان يزيد طولها على عشرين قدماً وفي الغالب تكون اقل من ١٥ قدماً

وتعرف اكبر افاعي البواء بالانكوندا وهي تستطيع ان تعيش في الاشجار وماء الانهر على السواء واكبر مثال عرفه العلماء لهذا النوع جلد واحدة منها محفوظ في المتحف البريطاني بلندن طوله ٢٩ قدماً وقد ذكر بعض اهل الاسفار في كتاباتهم انهم شاهدوا افاعي من هذا النوع طول الواحدة منها ٣٠ قدماً . والراجح ان متوسط طول هذا النوع الخاص من البواء ٢٠ قدماً

والبواء تختلف اختلافًا كبيراً عن افاعي افريقية الضخمة طولاً وشكلاً وتركيباً . فأكبر الافاعي التي درس العلماء طبائعها واحدة تعرف بالبيثون وهي مرقطة زخبيًا يشبه الشبكة ويطلق عليها ايضاً اسم الافعى الملكية لكبر حجمها وافعى قوس قزح لما يرى على قشورها من مختلف الالوان . وقد يبلغ طول الواحدة منها ما يزيد على ثلاثين قدماً ولا يستغرب وجود افاع منها طولها بين ٢٥ قدماً و ٢٩ قدماً وهي من اجمل الافاعي الكبيرة شكلاً ولونا وتوجد في سيام وسومطري وبرما وبورنيو وجزائر الفلبين وشبه جزيرة ملقا وجزائر الهند الشرقية

هذه الافاعي الضخمة ككل الافاعي تسليخ جلدها في اوقات معينة وبتفاوت الزمن بين سلخة واخرى بتفاوت عمر الافعى وصحتها وحرارة المكان الذي هي فيه وهل هي سريعة النمو او بطيئة وهل تعيش عيشتها الطبيعية او هي اسيرة في قفص فاذا كانت الافعى صغيرة السن سريعة النمو سلخت جلدها مراراً اكثر مما تسليخه افعى طاعنة في السن بطيئة النمو . والغالب ان الافاعي التي تسوء صحتها تسليخ جلدها اكثر مما تسليخه الافاعي التي تتمتع بصحة جيدة . والافاعي التي تحفظ في اماكن دافئة تسليخه اكثر من التي تحفظ في اماكن باردة

(١) للاستاذ هنري شيك في مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية

واذا كانت الافاعي مطلقة الحرية تعيش عيشتها الطبيعية سلخت جلدها كاملاً
واما اذا كانت اسيرة في قفص فالغالب ان يُسلخ جلدُها قطعاً قطعاً وفي كثير من
الاحيان تحتاج في سلخه الى مساعدة من يعهد اليه العناية بها سواء كان ذلك في حديقة
حيوانات او شركة غايتها الانتقال من بلد الى الاخر لعرض الحيوانات . وقد حاول
ان اسلخ جلداً كاملاً من افعى اسيرة من نوع البيثون فلم افلح انما افلحت في سلخ افعى
هندية اسيرة بعد ما وُضعت في ماء فاتر نحو ١٢ ساعة ثم امسك بها خمسة رجال نولي
احدهم سلخ جلدُها فقضى اربع ساعات قبل انجاز عمله . وهذا الجلد ليس الجلد الحقيقي
بل هو الطبقة السطحية من البشرة . واما الجلد الحقيقي الذي تصنع منه احزمة السيدات
والمحافظ التي يحملنها فلا يستطيع الحصول عليه الا بعد موت الافعى

من المعتقدات الشائعة انه يجب حفظ الافاعي الاسيرة على الجليد . والحقيقة على
الضد من ذلك اذ يجب حفظها في اماكن دافئة . وهذا يصح بنوع خاص على
الافاعي الاستوائية . فاذا وضعت الافاعي الاستوائية في اماكن حرارتها اقل من ٧٠
درجة بميزان فارنهایت اي نحو ٢١ درجة بميزان سنتغراد تسر عليها هضم طعامها فيبقى في
معدتها ويختمر فيها . وقد رأيت مرة افعى من الافاعي الاسيوية الكبيرة منتفخة ولما بحثت
عن سبب الانتفاخ وجدته ناجماً عن برد الافعى فلم تستطع ان تهضم طعامها . وكثيرون
من المشتغلين بعرض الحيوانات يستعملون مصابيح البترول لتدفئة اقفاص الافاعي
وليس في مقدرة انسان ما سواء كان رجلاً أو امرأة ما يمكنه من التأثير في الافاعي
فيجعلها تنقاد له صاغرة . فلست تجد افعى لها من العقل والادراك ما يمكنه من التمييز بين
شخص وآخر . والعامل الوحيد الذي يمكن بعض الناس من التسلط على الافاعي قائم في معاملتها
بالحسن وتعويدها ذلك . كذلك لا تستطيع افعى من الافاعي ان تؤثر في الطيور او غيرها
من الحيوانات . فقد قيل ان اكثر مخلوقات ومنها الانسان يولد وفيه خوف طبيعي من
الافاعي الا ان التجارب اثبتت فساد هذا القول والطيور ترفرف باجنحتها امام الحيات لا
خوفاً منها بل لتصرفها عن عشاشها وصغارها

ومن الاوهام الشائعة ان لسان الافعى المشقوق يستعمل للسع وهو خطأ لان لسان
الحية لا يضر احداً بوجه من الوجوه وتراه في افواه الافاعي السامة وغير السامة
على السواء . وكل ما فيه ان الافعى تستعمله للذوق كما يستعمل الانسان لسانه . والراجح
ان حاسة الذوق فيه قوية حتى تستطيع الافعى ان تشم به بعض الروائح القوية في الهواء

وليست الافاعي الافريقية والاسيوية المعروفة بالبيثون ولا البواء سامة . فهي قادرة على ان تعض حتى لتمزق لحم من تعضه ولكنها لا تسمم . والجرح الذي ينجم عن عضها يندمل سريعاً في الغالب لان اسنانها ملساء لا يعلق بها شيء من فضلات الطعام التي تدخل الجروح وتخنمر فتسبب التهاباً فيها وتسمماً في الدم . وهذه الافاعي الكبيرة تستعمل اسنانها لتمسك فريستها بها لا لتضعفها كما يُظن ولذلك تراها ملساء بسيطة التركيب منحية رؤوسها الى الخلق ومتى اطبقت فكها على شيء تعذر اخراجه من غير تمزيقه والغالب ان الافاعي من هذه الافاعي تعض فريستها حيث يتفق لها ثم تلتف عليها مرتين او ثلاث مرات وتضعفها حتى تميتها وبعض الافاعي الصغيرة تبتلع فريستها حية ولكن الكبيرة القوية تقتلها أولاً

ويصعب على افاعي من هذه الافاعي ولو كان طولها ثلاثين قدماً ان تبتلع فرخة حية . ولذلك تميتها لا لتقلل حجمها كما يعتقد كثيرون بل لان الفريسة الحية تتحرك فيصعب ابتلاعها ومتى امانت الافاعي فريستها بدأت تبتلعها مبتدئة من رأسها . وفي بعض الاحيان تشرع احدى الافاعي بابتلاع فريستها من مكان آخر غير الرأس ولكنها لا تسير في عملها طويلاً حتى تجده مستحيلاً اذا لم تكن الفريسة صغيرة الحجم جداً

ولا تعطي الافاعي فريستها باللعاب قبل ابتلاعها ولكن حالما تدخل الفريسة الفم يسيل فيه سائل يبلها حتى يجعها ساعة . وتستطيع هذه الافاعي ان تبتلع فريسة قطرها اربعة اضعاف قطر حلقها . وذلك لان مفاصل الفكين مرخية يمكن تمديدها . وقد رأيت مرة فكي من الافاعي الكبيرة ينفصلان احدهما عن الآخر نحو ٩ بوصات

تحكي حكايات كثيرة غريبة عن مقدرة الافاعي على ابتلاع الحيوانات وقتلها بالضغط عليها . ولا شك عندي في ان افاعي يختلف طولها بين ٢٥ قدماً وثلاثين قدماً تستطيع ان تبت حيواناً حجمه حجم الحصان او الثور بقوة الضغط فيها تفوق التصور . وقد حدث لي انه لما كنت اطعم حية منها في احد الايام لفّ ذنبها على كالحي ولما حاولت ان اقلص منها اضطرت ان استعمل يدي الاثنتين وكل قوتي

حدثني احد الجنود الانكليز الذين قضوا زمناً طويلاً في الهند قال انه رأى افاعي ضخمة تلتف على حصان ولما ضغطت عليه تكسرت عظامه ووقع ميتاً في الحال . ولكن ما من افاعي تستطيع ان تبتلع حيواناً كبيراً كهذا . على اني لا ارى سبباً يمنع احدى هذه الافاعي من ابتلاع انسان عادي وقد قال لنا الرجل الذي ابتعنا منه اكبر الافاعي

التي كنا نعرضها على الناس وطولها يزيد على ٣٢ قدماً ان لديه صورة لهذه الافاعي وهي نمل
ايلاً وزنه ٧٦ رطلاً . وقد ابتلعت وهي في ادارتنا خنزيراً وزنه ٤٥ رطلاً

والغالب ان الافاعي لا تهاجم الانسان او الحيوانات التدوية الا اذا دفعت الى ذلك
لكنها تهاجم الحيوانات التي يسهل عليها ابتلاعها كالطيور والحيوانات اللبونة التي يتراوح
وزنها بين ٢٥ رطلاً و ٤٠ رطلاً او اقل من ذلك . ومتى قبض على احدي هذه الافاعي
تتحارب حرب الابطال للتملص من الاسر وقد تبطش بكل ما يعترض سبيلها حينئذ
تفعل ذلك خوفاً من ان تصاب باذى فاذا عرفت ان من يسعى لاسرها لا يريد بها
ضرراً استأنست به في الغالب . ولا يخلو الامر من ان بعض الافاعي التي تبقى خبيثة ثمين
الفرص للبطش بصاحبها

ومن الاوهام الشائعة ان هذه الافاعي لا تأكل الا فريسة حية وقد يكون ذلك
صحيحاً متى كانت في حالتها الطبيعية فلا تأكل الا ما تقتله بنفسها ولكن بعد ما يضي
عليها مدة وهي في الاسر تستأنس بمن يعهد اليه في العناية بها وتأكل ما يقدم لها
اما اذا كان ما يقدم لها فيه اثر ما للفساد فانها ترفض ان تأكله . وقد رأيت مرة
افعى نتقياً لانها ابتلعت طعاماً طعمه فاسد . فحاسة الشم والذوق في الافاعي حادة جداً
ويتألف طعام الافعى الكبيرة في الغالب من الكتاكيت والارانب وتستطيع الواحدة
منها ان تأكل ستة او سبعة في طعام واحد ثم تبقى نحو اسبوع من غير ان تطلب طعاماً.
ذلك لان هضم الطعام يستغرق هذا الوقت وهي تهضم الطعام كله حتى العظام. واما ريش
الطيور وشعر الارانب فلا يهضم. ومتى اكلت الافعى كفايتها وشرعت تهضم طعامها فلت
حركاتها . وعلى الضد من ذلك فان حركاتها تزداد حينما تجوع فتسير ورأسها مرفوع
تطلب فريسة تلتهمها . وقد ذكرت افاعي بقيت من سنة الى سنتين من غير طعام
ويحدث من آن الى آخر ان افعى ترفض ان تأكل . وهذا الرفض لا ينجم عن
عزمها على الاضرار لانها لا تعقل الى هذا الحد ولكن اذا سافرت سفيراً طويلاً من بلاد
الى اخرى كسفرها من الهند الى اميركا فقدت شهيتها . في حالة كهذه ندخل الى
معدتها ايضاً مخفوقاً مع اللبن بواسطة انبوب من المطاط . وبعضهم يدخل خنزيراً من
خنزير الهند او صوصاً في حلق الافعى وفي الغالب تعود شهيتها للطعام بعد ما نغصها
على الاكل وتجري بعد ذلك جرياً طبيعياً في طعامها

مجلان

اول من طاف حول الارض

وُلد في البرتغال سنة ١٤٨٠ وكان أبوه من اشراف البلاد فنشأ في حاشية الملكة لنور زوجة الملك يوحنا الثاني ملك البرتغال . ثم اتصل بحاشية الملك مانويل خلف الملك يوحنا ولما كان في الرابعة والعشرين من عمره انضم الى المتطوعين الذين سافروا في ركاب اول نائب عن ملك البرتغال الى بلاد الهند . وخاض في الهند معارك كبيرة ابلى فيها بلاءً حسناً وجرح في معركة كنانور وشهد افتتاح مدينة ملقا وسافر شرقاً لاكتشاف جزائر الافاويه فر من شمال جزيرة جاوى فبينها وبين جزيرة مدورا ثم قطع اربخيل سلبيس حتى وصل الى جزيرة بندا فوجد فيها من الافاويه ما يفوق الوصف فقفل راجعاً الى ملقا . وفي هذه الرحلة شهد امامه انبساط الاوقيانوس الشرقي الذي دعاه بعدئذ بالباسفيكي اي الهادي وهو اسمه الى الآن

عاد الى البرتغال سنة ١٥١٢ بعدما نال لقب قبطان جزاء له على شجاعته ومهارته وفي سنة ١٥١٣ رافق الحملة البرتغالية التي سافرت الى شمال افريقية لافتتاح مدينة في المغرب الاقصى فجرح في الحصار ولكن البرتغاليين افتحوها عنوة . واتهم بعد ذلك انه خان وطنه بمحاولته الاتفاق مع البربر لكنه نفى هذه التهمة بوثائق ايدت اقواله . على ان مليكه كان قد اخذ بصرف نظره عنه لسبب مجهول وافهمه انه لا يريد في بطانته فغادر بلاده الى اشبيلية فوصلها في ٢٠ اكتوبر سنة ١٥١٧ ومنها ذهب الى بلاط ملك الاسبان في فلادوليد فغفل عن جنسيته البرتغالية ونقلد الرعوية الاسبانية بواسطة رجل برتغالي الاصل ذي نفوذ كبير في بلاط ملك اسبانيا

وتزوج مجلان ابنة هذا الرجل فساعده في ان يعرض على الملك المشروع الذي اعدّه للطواف حول الارض ويتلخص هذا المشروع في محاولة الوصول الى جزائر الافاويه بالسفر غرباً وكان مجلان يأمل ان يكتشف عند طرف اميركا الجنوبية مضيقاً يتصل منه الى الجانب الآخر من اميركا وقال انه مستعد للسفر جنوباً الى ان يبلغ الدرجة ٧٥ من العرض الجنوبي لاكتشاف هذا المضيق . وساعده في اعداد خطته فلكي برتغالي نقي من بلاده يدعى فالبرو وفي ٢٢ مارس سنة ١٥١٨ وقع مجلان وفالبرو وثيقة رفعت الى

ملك اسبانيا وعدا فيها بان يكون لها $\frac{1}{3}$ من كل الغنائم التي يصيبها والباقي يعود
لحكومة اسبانيا لقاء مساعدتها المادية والادبية . ونحنا ايضا الحق في اقامة حكومة في



FERNAND, MAGELLAN,
De. Larmessin scul.

مجلان اول من طاف حول الارض

كل البلدان التي يكتشفها يتولاها ابناؤهم واحفادهم بالوراثة . وفي العاشر من اغسطس
سنة ١٥١٩ اقلع الاسطول الذي اعدته له الحكومة الاسبانية وهو مؤلف من خمس
سفن اكبرها سفينة تدعى سانت انطونيو ومحمولها ١٢٠ طنًا والثانية ترنداد ومحمولها

١١ اطناف وكانت هذه السفينة امنن السفن كلها فجعلها مجلان « سفينة العلم » ثم الكونسبسيون ومحمولها ٩٠ طنًا والفتوريا ومحمولها ٨٥ طنًا وستياغو ومحمولها ٧٥ طنًا . ولم يعد الى اسبانيا من كل هذه السفن سوى الفتوريا كما سيبي . وكان عدد الرجال الذين سافروا معه ٢٧٠ رجلاً او ٢٨٠ اكثرهم اسبان و بينهم ٥٧ على اقل تقدير من البرتغاليين و ٣٠ من الطليان من (جنوى) و ١٩ من الفرنسويين وانكليزي واحد والماني واحد جمع منهم في السفينة فتوريا ٣١ رجلاً . اما فاليرو الفلكي فتخلف عن السفر لانه استطلع مصير الرحلة بوسائله الفلكية فزعم انها صائرة الى الاخفاق ورجاها الى الهلاك . وجملة ما اتفق على تجهيز هذا الاسطول بلغ ٥٠٣٢ جنيهًا وقيمتها حينئذ تساوي نحو ١٥٠ الف جنيه من قودنا الآن

اقلت السفن في ١٠ اغسطس متجهة الى الجنوب الغربي وفي ٢٩ نوفمبر لمح مجلان جنوب اميركا عند رأس سانت اغسطين ومن ثم سار محاذيًا لشواطئ اميركا الجنوبية حتى وصل الى مصب نهر لابلاتا فوقف فيه يبحث عن منفذ منه الى الجهة الاخرى من اميركا . وفي آخر مارس من السنة التالية وصل الى بورت سانت جوليان وهي على الدرجة ٤٩ والدقيقة ٢٠ من العرض الجنوبي ف قضى فيها الشتاء . ووطد علائق الصداقة مع اهله واطلق عليهم اسم البتاغونيين اي ذوي الاقدام الكبيرة

ونادر مرفأ سانت جوليان في ٢٤ اغسطس سنة ١٥٢٠ وبعد مسيرة شهرين تقريباً كشف رأس الاحد عشر الف عذراء عند مدخل المضيق المعروف الان بمضيق مجلان في طرف اميركا الجنوبية . وطول هذه المضيق ٣٦٨ ميلاً وهو حافل بمخاطر الجار فقضى ٣٨ يوماً في اجتيازها بعد ما انفصلت عنه سانت انطونيو اكبر سفن الاسطول . وفي ٢٨ نوفمبر عقد مجلساً من ضباط السفن ورواياتها لينظروا في مداومة السفر الا انهم بلغوا منتهى هذا المضيق الخطر في ٢٨ نوفمبر واطلوا على « البحر الجنوبي العظيم » فدعاه مجلان بالباسيفيك اي الهادىء لهبوب ريج لطيفة ساقط المراكب في فوذة وطمأنينة

وقضى مجلان ورجاله ٩٨ يوماً في اجتياز هذا الاوقيانوس الزاخر الذي « يفوق التصور في اتساعه » ولم يكشفوا في هذه المدة سوى جزيرتين . وكان الطعام معهم قد قارب النفاد فلم يبق معهم سوى ماء قليل آمن وبسكويت عفن واخذ داء الاسكربوط يفتك بهم وعنفهم الجوع بنابه حتى صارت الجرذان وجلود الثيران والنشارة اكلاً يحسد عليه من

يستطيع الوصول اليه . اخيراً وصلوا جزائر لادرون في ٦ مارس سنة ١٥٢١ وقد دعاها
مجلان كذلك لتفشي اللصوصية بين سكانها والراجح ان المرفأ الذي رسوا فيه كان
مرفأ جوام . هناك اخذ الاسطول عدته من الماء والطعام وبعد راحة ثلاثة ايام اقلعوا
منها متجهين الى الغرب فساروا سبعة ايام شاهدوا في نهايتها جزيرة سامار وهي من جزائر
الارخبيل المعروف الآن بالفيلبين . وفي ٧ ابريل وصلوا الى جزيرة سيبو في قلب
الارخبيل فتصادق مجلان مع اميرها المشهور بالغدر وكان يدعي انه مسيحي ليستخدم
مجلان ورجاله في قضاء مآربه . وجهز مجلان حملة لاكتساح جزيرة مكثان ليضيفها الى
امارة صديقه ولينشر فيها الدين المسيحي فقتله بعض سكانها في ٢٧ ابريل سنة ١٥٢١
فاتفق امير سيبو مع نفر من رجال الاسطول لينضموا اليه ولما صاروا في قبضته ذبحهم ذبح
الاغنام وبينهم جوان سرائو احد اميري البحر الذين انتخبوا ليخلفوا مجلان في قيادة الاسطول .
فاحرق الباقون احدى سفنهم وغادروا الفيلبين الى ملقا وبورنيو . وظهر خلل في
السفينة ترنداد فتخلفت عن المسير في جزيرة تدور . فتولى قيادة السفينة الباقية «فتوربا»
رجل يدعي جوان سبساتيان دل كانوا واقلع بها متجهين الى اوربا في ٢١ ديسمبر سنة ١٥٢١
ولقي من المشاق والمصاعب في رحلته حول رأس الرجاء الصالح ما يفوق الوصف . ولما
بلغوا جزائر الرأس الاخضر اسر البورتغاليون ثلاثين من رجالها فلم يصل الى اشبيلية من
رجال الاسطول الا صليين سوى ٣١ رجلاً وكانت الفتوربا السفينة الاولى التي طافت
حول الارض

ومع ان مجلان لم يصل الى جزائر الافاويه التي كانت غايته لانه قتل في الفيلبين لكن
غرضه كان قد تحقق لانه في رحلته الاولى كان قد قطع خط الطول الذي وصله قبل
قتله وكانت طريق البحر من ملقا الى اوربا معروفة لدى البحارة الاسبان والبرتغاليين . ومع
ذلك لم ينل اسمه ما يستحقه من الظهور في التاريخ الا ان العلماء يرون انه واحد من
الرواد العظام الذين نذكروا في مقدمتهم كولمبس وماركو بولو . فانه حقق الخطة التي تخيلها
كولمبس وطوافه حول الارض يوازي اكتشاف اميركا ، كلا العاملين في الطبقة العليا
بين اعمال المكتشفين والرواد



الفتوريا اول سفينة طافت حول الارض

مقتطف مارس ١٩٢٦

امام الصفحة ٣١٢

مذهب تناسخ الارواح

يحدثنا التاريخ ان هذا المذهب قديم آمن به قدماء اليونان من اصحاب المذاهب الفلسفية ، كفيثاغورس وافلاطون صاحب القول المأثور ان التعلم تذكرة ، وانما اخذ فلاسفة اليونان هذا المذهب عن قدماء المصريين ، على حين ان هؤلاء ايضا تعلموا هذه التعاليم من الهنود ، فالمذهب على هذا الاعتبار هندي وقديم قد تطور مع الزمن ككل شيء ولقد اتى على هذا المذهب حين من الدهر ذاع عنه في اصقاع المعمورة ان النفس البشرية اذا لم ترق في تجسدها الى درجة اسمى تستأهل بها ان تتجسد تجسداً يتناسب مع الناسوت العام ، امكنها ان تنقص جسد حيوان . جاء اعرابي يطلب الى آخر ممن كانوا على هذا المذهب ان يقرضه مبلغاً يرده اليه اذا التقيا في تجسد مقبل ولكن الاعرابي كان خفيف الروح وصاحب نكتة اذ اجابه على التو — اني اقبل هذا الصنف من المعاملة على شريطة ان تضمن لي بان لا تنقص جسد حيوان في تجسدك المقبل ، وهذا ما يدل ايضا على ان هذا المذهب كانت تعرفه العرب

على حين ان هذا الرأي ليس من الوجاهة ولا من الصواب في شيء ، لان القول بان النفس البشرية تعود القهقري في تجسدها فتتقصص بجسد حيواني — بدعة ابتدعها رجال الكهنوت القدماء ، وكان غرضهم من ذلك تخويف الكافة حتى يكفوا عن ارتكاب الآثام ، واتيان الخطايا خيفة ان يردوا الى هذا العالم بهائم تعذب . ذلك بان ناموس الترقى العام وشكل الجسم الروحاني ووظائفه الفزيولوجية تنقض هذا الرأي وتجتثه من اساسه والآن نريد ان نعرض بعض التأملات والاسباب التي تحمل اصحاب هذا المذهب على اعتقاداتهم هاته فتقول انهم يعللون التناسخ ويزكون رأيهم فيه واعتقادهم به بما تنطق به حوادث التاريخ وهاك بعض ذلك

(١) ولد في لوبيك (من اعمال المانيا) ولد يدعى « انريكوس اينيكيم » سنة ١٨٧١ بدأ يتكلم بكل فصاحة في الشهر العاشر من عمره وبعد شهرين تعلم اسفار موسى الخمسة وفي الشهر الرابع عشر تعلم العهدين (القديم والحديث) وفي العام الثاني من عمره اتقن تاريخ الاقدمين وقيل انه كان يعادل شيشرون في فصاحته باللاتينية ويظهر غلطات في مؤلفات اكبر ادباء فرنسا

(٢) ان « هيرموجين » علم « مارشيلوس قيصر » علم البيان والمعاني وكان هذا الاستاذ في الخامسة عشرة من سني حياته

(٣) رُوي عن فتاة افرنسية انها بلغت الرابعة عشرة من سني حياتها ولم تكن تعرف الا البسيط النادر من لغتها ولما نوماها تنويماً مغنطيسياً كانت في نومها تكتب وتتكلم اللغتين الانكليزية والالمانية بفصاحة ولباقة ورشاقة تأخذ بمجامع القلوب ، فمن اين جاءها ذلك ان لم يكن قد ارتكز في فطرتها من تجسد سابق ثم حجبته المادة وكثافتها الى ان حان حين التذكر؟

(٤) روي عن « يوحنا فيلبس باراتيه » انه كان في الرابعة من عمره يتكلم ويكتب الفرنسية والالمانية واللاتينية وفي السنة السادسة اتقن اليونانية ، وفي السابعة العبرانية فترجم التوراة الربانية الكبيرة في اربعة مجلدات ضخمة واطاف اليها مجلد آخر من الحواشي والمباحث

(٥) روت الجرائد الانكليزية والفرنسية سنة ١٨٦٨ عن فتاة انكليزية بقيت خرساء حتى الثالثة عشرة من عمرها لم تتعلم الا كلمتي (ابتاه) (اماء) وانها لكذلك اذ شرعت تتكلم في يوم ما بلغة مجهولة لارابط بينها وبين الانكليزية ولبنت جاهلة اللغة العائلية بتاتا حتى اضطر اخوها ان يتعلم لغتها الغريبة كيما يمكنه ذلك من التفاهم وابالها . فمن اين كان لها ذلك

(٦) ان الفتاة « تريزيا ميلانوتلو » ادهشت عواصم اوروبا بضربها بالكن - حتى قال عنها الموسيقار الشهير (بايو) يظهر انها ضربت بالكن قبل ان تولد

(٧) انقن (موزار) الموسيقار الطائر الصيت ضرب الارغن في الرابعة من عمره وفي الثانية عشرة من سني حياته الف روايته الموسيقية الاولى

(٨) لماذا نجد في بعض الناس استعدادات شتى مجردة عن الخواطر التي اقتبسوها بالتعليم والتلقين والتهذيب ؟

(٩) لماذا نجد في بعض الفتيان استعداداً فائقاً لصناعة من الصنائع او علم من العلوم ينبغون فيها نبوغاً عظيماً ؟ (١٠) لماذا نأنس في بعض الفتيان من ارقى الطبقات واعظمها في الامم المتدنية ومن ذوي الحسب والنسب ميولاً ساقطة وخيمة يعجز التهذيب عن استئصالها ، وفي بعض فتيان من الولاة ومن احط الطبقات بل ومن الرعايا عواطف شريفة ، وميولاً خيرة ونزعة الى النفع والخير ؟

(١١) لماذا نجد في بعض الناس افكاراً غريزية لم يتلقونها من احد ولم يوفق اليها غيرهم؟ (١٢) ما هي ضرورة وجود المتوحشين قبل المتدينين؟ والهجومية ازاء التمدن والعمران؟ واذا اخذت طفلاً من اطفال الحمج في اواسط افريقية وريته في اشهر مدارس اوربا، هل هو من بعد ذلك يصل الى درجة ارسطو او نيوتن؟

هذه جماع اراء تعن لاصحاب هذا المذهب جئنا بها نعرضها امام القراء من غير ان نحمل نباعها — وهم يزيدون على ذلك فيقولون: اذا نحن كفرنا بمذهب التناسخ وقلنا بوحدة حياة الانسان الجسدية اضطررنا الى الاقرار بخلق الروح مع الجسد، وكان لزاماً على خصوم مذهبنا ان يحلوا لنا هذه المسائل حلاً معقولاً يتسق ومذهبهم. قالوا:

فاما ان الله يخلق الروح مع الجسد فهو ما يؤدي الى الاعتقاد بان الانفس في الخلقة متساوية او مختلفة، فان خلقها مختلفة كان وحاشاه ان يكون — تنزهت قدرته وتعالى حكمته يزين بعض الانفس بصفات ويترك غيرها في ظلام الجهل. وان قلنا ان الله خلق الانفس متساوية وانما جاءت الاختلافات من الاختلافات الكائنة في التراكيب العضوية كان هذا الجواب اعقد للسألة من الاول لانه يبقى المشكلة من غير حل. اذ نعود الى السؤال — لماذا يهب العليم القادر الحكيم جل شأنه لنفس جسمًا صحيحًا معافً قوياً كامل الصفات والاخرى جسمًا ضعيفًا ناقصًا يقيد قواها العقلية

على ان رأيا كهذا يوافق ضلال الماديين ويجعل الانسان آلة مادية تتلاعب بها الاهواء وينبغي عنه مسؤولية اعماله فلا حساب ولا عقاب لما في بنيته من نقص

اما اذا عاد الحبيب الى انه قد ترك للانسان جهة الاختيار فهو بما فيه من حرية مسئول عن اعماله — فان اصحاب مذهب التناسخ يعودون يسألونه لماذا يمنح الله البعض جسمًا مطواعاً لا ميل فيه الى الرذيلة ويقيد غيره بجسم متمرّد يضطر النفس الى جهاد وجلاد وتعب وعناء ينتهي بها الى الفشل والسقوط. قالوا: وما نحن بمنكرين ما للجسم من القوة التأثيرية على النفس وعلاقة الحالة العضوية بالحالة النفسية وتأثر الثانية بالاولى وانما نحن نذهب الى القول بانه ليس كل ما في الانسان من فضيلة او رذيلة، وذكاوة او غباوة، ليس كل هذا ناتجاً عن تأثر الحالة النفسية بالحالة العضوية. آية ذلك انا نرى ولدين من اب واحد وام واحدة يتباينان تبايناً كئياً الواحد عن الآخر في الصفات والمواهب والقوى حتى يحق لك ان تسمي الواحد ملاكاً طاهراً والآخر شيطاناً رجيماً — مع انهما يكونان قد تربيا في مدرسة واحدة واعتنقا مذهباً واحداً حسن حسين

بَابُ الْمُنَظَرِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترحيباً في المعارف وانهاضاً لهمم وشجاعة لاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فتعجز براء منه كله . ولا ندرج ما خرج من موضوع المقتطف وبراى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنأطرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الواضحة مع الايجاز تستغار على المطولة

نزوح الدروز الى حوران

وحربهم ضد ابراهيم باشا

نشر حضرة البجاجة عيسى افندي اسكندر معلوف في مقتطف شهر ديسمبر سنة ١٩٢٥ مقالة عنوانها « دروز حوران وحرب ابراهيم باشا » ضمنها حقائق جمة لا يتسنى العثور عليها الا لمن كان مثله كثير البحث والتنقيب مولعاً باخبار السلف حرصاً على حفظ آثارهم . ونظراً لتعدد الروايات التي تناقلها الرواة والكتّاب في موضوع بحثه فاني اضيف بعض ما اطلعت عليه منها الى بعض ما ذكره الاستاذ الفضال

نزوح الدروز الى حوران — اختلفت الاقوال في تاريخ نزوح الدروز الى حوران . اما الروايات المرجح صدقها فمتفقة ان بني الحمدان هم اول من انتقل اليها من الدروز وان انتقامهم حصل بعد خراب بلدتهم كفرا من مقاطعة الغرب الاعلى في لبنان الواقعة بالقرب من عيناب . وقد قال الاستاذ عيسى افندي في بدء مقالته مشيراً الى بني الحمدان « فناوأم الامراء التنوخيون وخربوا قريتهم فساروا الى حوران منذ قرنين ونصف او اكثر » . فالامراء التنوخيون انقرضوا سنة ١٦٣٣ م وكانت قد ضعفت شوكتهم قبل ذلك . فاذا كانوا قد ناوأو بني الحمدان فيجب ان يكون قد حصل ذلك منذ ثلاثة قرون او اكثر . على اننا لم نقف على خبر خراب كفرا الا بعد عهد التنوخيين اي في سنة ١٧١١ على اثر انكسار اليمانيين في موقعة عين داره فالمرجح انهم ذهبوا حينئذ الى حوران واليك البيان :

ان بني الحمدان كانوا يمينين ويستدل من اخبارهم انهم كانوا ذوي بأس شديد . وكان يسكن قرية الفساقين المتاخمة املاكها لاملاك كفرا بنو حمزة الذين كانوا قيسيين فذب بين الامرتين ديب العدا وفتك بنو الحمدان ببني حمزة حتى كادوا يفتنونهم وانتقل الباقون منهم من الفساقين الى عبيه حيث لا يزال اعقابهم موجودين الى الآن . وتكررت الحوادث العدائية في اواخر القرن السابع عشر واول الثامن عشر بين العائلات النتمية الى الحزبين فاشتد في النفوس حب الانتقام حتى اذا ما حصلت موقعة عين داره وانكسر اليمينون انكساراً لم تقم لهم قائمة بعده اخذ القيسيون يتكلمون باليمينين المنتشرين في البلاد . وكان آل تلحوق قيسيين فحضروا يوم عين داره مع زعيم حزبهم الامير حيدر الشهابي وابلوا بلقاء حسناً ففرع الامير حيدر مقاطعة الغرب الاعلى من يد الامير يوسف ارسلان اليميني واقطعها آل تلحوق فلما رجع احدهم الشيخ بشير الى وطنه بعد هذه الوفاة حرق شمالان وعيناب وكفرا وقتل اكثر رجالها لانهم كانوا يمينين^(١)

فما تقدم يتضح ان خراب كفرا حصل سنة ١٧١١ وبما انه مشهور ان بني الحمدان نزحوا الى حوران عند خراب بلدتهم هذه فتكون سنة ١٧١١ هي تاريخ نزوحهم اي منذ سنة ٢١٥

حرب ابراهيم باشا — ورد في المقالة التي نحن بصددھا في صفحة ٤٩٩ من المقتطف ان طلب تجند دروز حوران ونشوب الحرب ضد ابراهيم باشا حدثا في سنة ١٨٣٥ غير انه ذكر في السطر الاول من صفحة ٥٠٠ ان الحرب استمرت تسعة شهور وفي صفحة ٥٠٣ ان ابراهيم باشا تسلل للجاء في تموز سنة ١٨٣٨ فمن هذين القولين الاخيرين يعلم ان طلب التجند ونشوب الحرب بسببه حصل في خريف سنة ١٨٣٧ لا سنة ١٨٣٥ وان الحرب انتهت في صيف سنة ١٨٣٨ ويؤيد ذلك روايات الكتّاب المعاصرين

قواد الحملات المصرية — ورد في صفحة ٥٠٠ ان قائد الحملة الاولى الكبرى كان محمد بك المصري على انه ورد في مخطوطة^(٢) لاحد الدمشقيين الذين عاصروا ابراهيم باشا ان قائد الحملة كان « محمد باشا مفتش الجهادية » وفي مخطوطة حورانية محفوظة عند

(١) اخبار الاعيان ص ١٥٦ و ١٥٧ (٢) توجد نسخة منها في مكتبة الجامعة الاميركية بيروت . وهي غير « تاريخ حوادث الشام وابنان » المنسوب الى مخائيل الدمشقي والذي نشره الاب ليس معلوف اليسوعي

كتب هذه الرسالة ان قائد الحملة كان « محمد باشا باشت النزام »^(١) ورواية البارون دومنيك ياورسليان باشا الفرنسي تعزز هاتين الروايتين^(٢) وجاء في صفحة ٥٠٠ ايضاً ان الحملة الثانية كان يقودها طيفور بك اما المخطوطتان المذكورتان قبلاً ففيها ان الحملة كانت تحت قيادة احمد باشا. وروى البارون دومنيك ايضاً انها كانت تحت قيادة « احمد منيكل باشا وزير الحربية » وورد في قصيدة حورانية للشيخ ابي علي الحناوي من مشاهير ابطال الدروز الذين حاربوا ابراهيم باشا ما يؤيد رواية المخطوطتين السابقتين ويستنتج منه ان طيفور بك كان مع احمد باشا وهذا هو قوله الذي ورد فيه ذكرها

اخذنا المدافع والجباخانات والذخّر والذبح^(٣) ما تحصى له مقدار
احمد باشا راح محمول نعشه وطيفور بك ومثله اوزار^(٤)
قواد الدروز وعدد رجالهم — ورد في صفحة ٥٠٠ ان دروز حوران « كانوا يسرون تحت راية الشيخين حسن جنبلاط وناصر الدين العماد من كبار دروز لبنان الذين انضموا برجالهم فصار عددهم عشرة آلاف مقاتل من فرسان ورجالة » اما المشهور فهو ان دروز حوران كان يقودهم شيوخهم وكان كبيرهم هو لاء يحيى الحمدان واكثرهم شهرة حسين درويش وحسين ابو عساف واشترك معهم اشتراكاً فعلياً شبلي العريان من راشيا. اما الشيخين حسن جنبلاط وناصر الدين العماد فلم تطلع على ما ثبت انهما اشتركا في حرب الجبل وفي قيادة الدروز هناك لكن توجد روايات متواترة عن محاربتهما ابراهيم باشا في واحة وادي بكّا بقرب قرية ينطا وكان ذلك عند انتقال ميدان القتال الاكبر من الجبل الى وادي التيم . من ذلك ما رواه صاحب « اخبار الاعيان » في صفحة ٥٨٥ و٥٨٦ و٥٨٧ وهو « وفي غضون ذلك حضر الشيخ ناصر الدين العماد يلتبس من الامير (بشير) صفر الخاطر لينال مكرمة منه فطيب قلبه وامر له بصلة فقبضها وسار الى العريان^(٥) . وفي

(١) اعني النظام وهي هنا بمعنى الجيش واللبنانيون يدعون السنة التي جند فيها ابناءهم في الجيش المصري « سنة النظام »
(٢) صفحة ١٤٦ من كتابه Nézib et Beyrout (٣) القنلى (٤) وذرأ واصمهم مراساً يوجد شبه كبير بينه وبين « دي وت » بطل حرب الترنسفال . فكان يشترك في الوقائع الكبرى ثم يهدد خط المواصلات ويستولي على الذخائر والمؤن ويقاق الجنود المرافقة في اللجاء بالمناجات الليلية ولا يكاد يفعل ذلك حتى يسمعوها باذكاء نار الثورة في حاصيا او راشيا ليجي الجيش المصري على توزيع قواته

ذات يوم بلغ عسكر الدروز انه قادم من دمشق الى عيما علايف لعسكر ابراهيم باشا فارسل الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العباد نحو ثلثاية رجل لأخذها فلما وصلوا الى وادي يسمى وادي ممسي وجدوا العلايف قادمة فتسللوا جبراً واذا بمصطفى باشا قادماً بعسكره فاشتعلت نار الحرب بينهم فلما بلغ الشيخين ذلك انطلق اليهم الشيخ ناصر الدين بثلاثية مقاتل وتبعه الشيخ حسن باربعائة وخمسين مقاتلاً ولما اقبلوا على الارناووط شيوخ عليهم نيران الوغى وبلغ ابراهيم باشا ذلك فحمل عليهم بشرط من عسكره»

ثم ذكر المؤلف خبر اعتصام الشيخين باماكن صعبة المسالك في وادي بكا واستبسالم في مقاومة العدو حتى كادوا يهزمونه واخيراً فرغت ذخيرتهم . ثم استطرد في كلامه قائلاً : « هذا والشيخ ناصر الدين مستل سيفه بفري به من يصل اليه حتى قتل خلقاً كثيراً من حوالبه ثم قتل ولم ينج من اصحابه سوى خمسين نفرأ واما الشيخ حسن فلما يقن ان لا نجاة له ولقومه الا بالهرب فرأ بمن نجا منهم الى شبعأ »

وعلى اثر هذه الواقعة حصلت وقعة شبعأ التي انتهت بتسليم الدروز وانتهاء حرب

ابراهيم باشا

اما بلوغ عدد الدروز الذين حاربوا ابراهيم باشا عشرة آلاف فرما يكون لدى الاستاذ ما يؤيده لكن يظهر لنا انه اكثر كثيراً مما هو مشهور

ففي مخطوطة (١) الدكتور مخائيل مشاقفة ان عدد رجال دروز حوران كان عند نشوب الحرب الف وستماية وفي مخطوطة الكاتب الدمشقي التي سبقت الاشارة اليها ان عدد الدروز وعربان اللجاء الذين اتفقوا معهم كان نحو الفين وحسب رواية اركوهرت كان عدد الدروز اقل من الفين (٢) . فما زاد عن هذا العدد يجب ان يكون اتي من لبنان ووادي التيم لكن لا يمكن ان تكون النجدة من البلدين المذكورين بلغت ثمانية آلاف . لان دروز لبنان ادخل منهم ١٢٠٠ شاب في سلك الجندية المصرية والباقيون نزع منهم سلاحهم واستمالت الحكومة اليها مواظنيهم المسيحيين وسلحتهم وكان موقفهم عدائياً نحو الدروز ففي هذه الحالة لم يبق في وسع دروز لبنان ان يرسلوا نجدة كبيرة الى اخوانهم المحاربين وربما كان كل ما انسل من دروز لبنان لمساعدة الثائرين هو تلك

(١) موجودة نسخة منها في مكتبة الجامعة الاميركية

(٢) صفحة ١٦٣ جزء ١ من كتابه Urquhart, The Lebanon

القوة التي قادها الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد في وادي بكّا وعددها ألف وخمسون رجلاً

أما الذين ثاروا في وادي التيم فكانوا تحت قيادة شبلي العريان وقد ورد في مخطوطة الكاتب الدمشقي التي أشرنا إليها قبلاً أن عدد الذين اتصلوا به بلغ نحو أربعة آلاف على أننا نعتقد أن بين هؤلاء كان القادمون من لبنان . وعليه فالمرجح أن جملة قوات الدرّوز لم تتجاوز ستة آلاف أو سبعة . وإنما زاد عددهم إلى هذه الدرجة بعد ما طال أمد الحرب أما في وقائع اللجاء التي بطشوا فيها بالحملة الأولى والثانية والثالثة فتواترت الروايات بأنهم لم يزدوا على الفين

تسليم شبلي العريان — كان لتسليم شبلي العريان شأن كبير في نظر إبراهيم باشا لأنه كان مقدماً سريع الحركة واسع الحيلة كثير المباغيات لحملات الميزة والدخيرة والفرق السيارة والقوات المربطة هنا وهناك فكان يشغل بال كل قائد من القواد على السواء . وربما كان شأنه هذه سبباً في اختلاف الروايات عن توسط في تسليمه لإبراهيم باشا

وقد ذكر الاستاذ عيسى أفندي أنه سلم عن يد أمين شحورر وأورد ذكر حادث كان بينهما قبل التسليم . على أن رايّاً آخر ذكر حادثة تقرب منها عن علي آغا البصلي وأن شبلي سلم عن يد هذا الأخير . لكن في مخطوطة الكاتب الدمشقي أن التسليم جرى عن يد نقولا ضاهر

وآخر ما نذكر من هذه الروايات ما ذكره البارون (١) دومنيك وهو أن شبلي ذهب إلى إبراهيم باشا مباشرة فجاء إلى إحدى نقاط الجيش الامامية وطلب أن يسيروا به إلى القائد العام ففعلوا . وقد روى البارون حصول الحديث الآتي بين إبراهيم باشا وشبلي العريان

شبلي — يا صاحب الفخامة ها أنا أقدم اليك وأضعاً رأسي بين يديك

إبراهيم باشا — ومن أنت ؟

شبلي — شبلي العريان

إبراهيم — ماذا ؟ إذا أنت الذي أوقعت بمحمد باشا وأحمد باشا



شبلي باشا العريان المتوفي سنة ١٨٧٤
ارسل الينا هذه الصورة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٣٢٠

شيلي - نعم يا صاحب المخامة

ابراهيم - طيب . فانت تستحق الموت

شيلي - اني اعلم ذلك

ابراهيم - لكن مع هذا فاني اعفو عنك لانك شجاع وانا احب الشجعان ومنذ الآن انت في خدمتي واعينك قائداً لآلف رجل غير نظامي فاجمع فلول اخوانك الدروز فانهم جنوداً كفاء وانا ارتب لهم المرتبات وسيكونون نواة فرقتك الجديدة
شيلي - انك عظيم رحيم يامولاي . واني شديد الاسف لاني اطلت مقاومة ابراهيم الذي لا يقهر . اما الآن فاراني سعيداً بان اكون مملوكك باذلاً دمي في سبيلك

سليمان ابو عز الدين

بيروت

اعظم موارد الثروة في فلسطين

حضرة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الغراء

قرأت ما جاء في مقتطف يناير سنة ١٩٢٦ تحت عنوان « الاحوال في فلسطين »
نشاقني الى كتابة هذه السطور وعسى يكون منها فائدة للاغنياء وتفكهة للقراء
يجتهد في ذلك المقال عن ثروة فلسطين الزراعية واليكم الآن بعض الوصف لثروة
ثانية لا تقل عن تلك شأنها اذا كانت لا تفوقها وهي لا تزال مدفونة في التراب لا
يعبرها احد اهتماماً

اسعدني الحظ ان اكون في زمن الحرب العالمية برفقة عالمن من علماء الالمان
احدهما جيولوجي مشهور اسمه الدكتور ولف اوولف Dr. Wolff والثاني
مهندس معادن اسمه الدكتور بايشلاخ Dr. Beyshlag حفيد اللاهوتي الالماني
الشهير بايشلاخ وابن العلامة الدكتور بايشلاخ مؤسس المعهد الملكي البروسي
الجيولوجي في بولن ومديره

انتدبت حكومة تركيا هذين العالمين في زمن الحرب للبحث عن وقود في
العراق وسوريا . غير ان الانكليز كانوا قد احتلوا الجانب الاكبر من العراق فلم يتمكن
من السفر الى تلك البلاد فاقصر بحث هذين العالمين على بلاد سوريا الشمالية
والجنوبية

وبعد تجوال ثلاثة اشهر ونصف شهر في اماكن مختلفة في لبنان وفلسطين قرر احدهما الدكتور ثولف ان المعادن كالحديد والكبريت والفحم الحجري والحجر موجودة في لبنان غير ان نفقات تعدينها تفوق قيمتها كثيراً وعلى الاخص الفحم الحجري منها وذلك لان الفحم في لبنان مؤلف من طبقة رقيقة لا يزيد معدل سمكها عن ٢٠ - ٣٠ سنتيمتراً و ٤٠ او ٥٠ ٪ منها مركب من الكبريت غير النقي والفصفور المؤكسد

انتقلنا من لبنان الى فلسطين لاتمام البحث . فوقف بنا القطار في محطة « تل شهاب » المشهورة بشلالاتها الغزيرة العظيمة الهبوط . وقد اشارا على الحكومة - وجمال باشا رأسها اذ ذاك - باستثمار هذه الشلالات ولولا انهزام الاتراك والامان بعد حنين من فلسطين لكان تم ذلك المشروع واصبحت تلك السهول المرتفعة الواسعة الخصبة التربة والقاحلة تقرباً بين الشام ودرعا وتل شهاب جنات خصبة تعود بالفلل الكثيرة على الاهلين والحكومة . هذا عدا القوى الكهربائية الممكن توليدها من تلك الشلالات اذ انها ولا شك اعظم او من اعظم الشلالات في الشرق الادنى

وقف بنا القطار بعد حنين في وادي اليرموق في محطة المقارن بين حوران وعجلون . خرجنا من عريتنا الخصوصية وفي يد المهندس مطرقة صغيرة كهادة الجيولوجيين . واقتربنا من الجبل القائم امامنا وضرب المهندس بمطرقة على الصخر الذي يتركب منه ذلك الجبل فوجدنا حجراً اغبر اسود اللون طويلاً ذا طبقات رقيقة كاللوح الحجري فظننه بادي ذي بدء من ذلك الصنف غير انه ما كاد يشم رائحته حتى قال للجيولوجي : انظر ما هذا وابتسامة الظفر تعلو شفثيه . رائحة البترول (الكاز) قوية في هذا الحجر . نحن نفتش عن وقود وهنا كنز عظيم منها . ثم نظرنا الى الجبل المقابل فأبنا قبة عالية كالقبة التي تقام عادة فوق آبار البترول فذهبنا اليها . ومن الآثار الظاهرة والمعدات المتروكة هناك علمنا ان القصد منها البحث عن البترول . وبعد حين علمنا ان شركة انكليزية اميركانية المانية ابتدأت عملها قبل الحرب بثلاث سنوات وصرفت مبالغ طائلة لاستخراج البترول ولكن لم يسفر عملها عن نتيجة ما وجاءت الحرب فاقف عملها . قال المهندس وهو كما سبقت حفيد لاهوتي مشهور جاء في سفر من اسفار التوراة - واذا كانت الذاكرة لا تخونني ففي نبوة اشعيا او حزقيال - « واستخرج من الصوان زيتاً » ثم قال اذا كان القدماء استخرجوا من الصوان زيتاً فلماذا لا اعصر انا من هذا

الحجر زيتاً وأنا ابن القرن العشرين . وكان والده قد فعل ذلك قبل اشهر في المانيا من اللوح الحجري

رجعنا الى المحطة وابرق حالاً الى الشام انه مستعد ان يسير القطار بواسطة هذا الحجر بدل اشجار الصنوبر والتوت والسنديان والزيتون التي كادت الحكومة تأتني عليها كلها لولا هذا الرجل الذي كان يتألم كثيراً كلما نظر الى تلك الاشجار الثمينة تقطع وتحرق . ائتت الحكومة طلبه وفعلاً استطاع ان يسير القطار بواسطة هذا الحجر الذي يشغل بعود الثقاب . لكنه لم يقف عند هذا الحد بل قال يجب ان استخراج زيتاً معدنياً لا يترولاً من هذا الحجر اذ لا ينابيع بترول هنا . وبعد اسابيع استطاع هذا النابغة ان يستخرج مقادير صغيرة من الزيت المعدني على طريقة بسيطة اولية . — وهنا ليعذرني القراء اذا احتفظت بهذا السرّ لانه سرّ الرجل لا سري . ثم ارسل المهندس نموذجاً من هذا الحجر الى معهد ابنيه في بولن لفحصه وبعد اشهر جاء الجواب بان الحجر يحنوي على ١٢ — ١٥ ٪ من الزيت المعدني عدا البترول والبنزين والبنزول الخ . ثم امر المهندس ببناء بعض الافران وكان يستخرج في اليوم ما يزيد على الطن من الزيت الجامد بنفقات لا تذكر . ثم استقدم من المانيا ثلاث ماكنات كبيرة لاستخراج الزيت ولولا الانهزام الاخير لكان بإمكانه ان يستخرج بواسطتها ما يزيد على ١٦ طناً من الزيت المعدني كل يوم ولكن ابني الدهر الا ان تدرس تلك الآثار التي اقامها وتصبح اثرأ بعد عين اذ ما كدنا نترك ذلك الوادي حتى هدم البدو تلك البنايات وحطموا الآلات كلها وهذا شأن الجهل اذا حل مكان العلم والاجتهاد

هذا شيء قليل مما فعله ذلك الرجل العظيم — وهو الآن صاحب مملكتين لاستخراج الزيت من الحجر في المانيا — ويظهر من رسائله اليّ انه لا يزال مشتاقاً للرجوع الى ذلك الوادي اي وادي اليرموق المعروف عند الاهلين « بوادي جهنم » لشدة الحرفيه

اما هذا الحجر فمن النوع الكلسي واسمه العلمي : Bitumen اي القار

وموقع هذا الوادي بين جبلين عظيمين لا يقل ارتفاع كل منهما عن ٥٠ — ١٠٠ متر فوق سطح الوادي ويمتدان من تل شهاب الى وادي الحمة — حيث المياه المعدنية الحارة بالقرب من سبخا وطبرية — اي مسافة ٩٠ — ١٠٠ كيلو متراً . ويؤلف هذان

الجبلان من هذا الحجر الثمين ولا يعلم إلا الله عمقهما في الارض وامتدادهما عرضاً
سألت الرجل على اثر تقارير حجة قُدِّمت الى الحكومة وبعد ما صرَّح لي بشوق
عن رغبته بالبقاء في ذلك الوادي بعد الحرب هل يستطيع ان يضارب شركات الزيت
والبترول في اميركا واوروبا بعد الحرب فاجاب « اني بعد الفحص الدقيق والحسابات
الكثيرة استطيع ان اقول اني لو وهبت الزيت للحكومة من غير لقاء وبعث لثر الامونياك
ببارة تركية واحدة لتمكنت بمساعدة شركة غنية من ان اربح ما يقارب المليون ليرة في
السنة . هذا عدا الجير — الكلس — والسمنت الذي كنا ابتدأنا نصنعه والبترين
والبنزول والغليسرين الممكن استثمارها بسهولة . قد يظن البعض ان في هذا التصريح
مبالغة ولكن متى عرف كثرة ذلك الحجر وسهولة استخراج مقادير كبيرة من الزيت
والامونياك والجير والسمنت بمصاريف قليلة صدق رأي المهندس ودهش من هذه
الثروة العظيمة في سوريا وفلسطين

قلت للمهندس ولكن المكان غير صحي وهيئات ان نتمكن من جلب العمال الى هذا
المكان بعد الحرب ولا يغرنك الآن ما تراه من كثرة اليد العاملة لان هؤلاء ما كانوا
اتوا الى هذا المكان لولا خوفهم من الجندية والذهاب الى ساحة الحرب وان ما نعطيهم
اياه من اجرة كبيرة الآن لا يقبلون اضعاف اضعافه في زمن السلم — كانت اجرة
العامل البسيط بين ٤٠ — ٧٥ غرشاً تركياً في اليوم ومضاعف هذه القيمة اذا اشتغل
ليلاً مع ١٠ / عملة ذهبية وكيلا واحد من الخبز وبعض الايام كيلا ونصف
وغرف النمامة تقدم مجانياً للعملة — والعمال في سوريا الآن لا ينال الا نصف هذه القيمة
او ثلاثة ارباعها

وقلت له انت ترى ان حتى الملايا تفتك فتكاً ذريعاً بالعمال فقال : العلم يستطيع
كل شيء وانه بالامكان ان نحول وادي جهنم هذا الى فردوس بهي . الا ترى برلين فانها
كانت وضواحيها منذ سنوات من اخبث المستنقعات . وشجر الدفلة حيث يكثر البعوض
نستطيع استئصاله في مدة قصيرة ونزرع مكانه شجر اليوكالبتوس المفيد للصحي . ومنى
زال البعوض زالت الملايا ايضا

ليست هذه البقعة الوحيدة في سوريا وفلسطين حيث نجد هذا الحجر بل نجد
ولكن ليس بهذه المقادير الكبيرة قرب الهرمل في سوريا وقرب النبي موسى على ٢٠

كيلومتراً من القدس الى ناحية اريحا وبحيرة لوط . ويعرف هناك بحجر النبي موسى
واهل البلاد يصنعون منه آنية جميلة وزخارف جمّة يبيعونها من السياح بأسعار
باهظة . وهو يحوي من ١٥ — ١٧ ٪ من الزيت . اي انه افضل من حجر المقارن انما
استثارة صعب نوعاً

هذه اعظم ثروة في سوريا اتيت على ذكرها على بعض الممثلين من الوطنيين ينتمون
اليها ويسعون الى استثمارها قبل ان يسبقهم الصهيونيون اليها واني اشير عليهم اذا فعلوا ان
يستقدموا ذلك المهندس من المانيا اذ هو وحده يمكنه ان يفعل ذلك . هذا عدا ما له
من الحق الاول في استثمار هذا المعدن لانه مكششف ومكتشف طريقة استثماره . واني
اشير عليهم بالاسراع لان كثيرين من الصهيونيين طلبوا اليّ حينما كنت في الوطن ان
اقدم لهم تقريراً عن الاعمال هناك واطلعتهم على كيفية الاستثمار فاحلتهم على المكششف
وهذا يدل على ان في نية البعض منهم استثمار هذه البقعة من الارض واذا فعلوا فليبك
الوطنيون ثروة طائلة تذهب من ايديهم ولا يصيبهم منها شيء

وفي فلسطين ثروة اخرى غير هذه وان لم تكن في مقامها ذهبت برفقة هذين العالمين
الى جنوب بحيرة لوط وكان دليلنا كتاب الماني مؤلفه جيولوجي الماني يهودي لا اذكر
الآن اسمه انتدبه السلطان عبد الحميد لوضع تقرير جيولوجي عن تلك البقعة من الارض
وما فيها من المعادن وعلى الاخص البترول . وصلنا بعد مسير نحو كيلو مترين من البحر
الميت الى الجنوب الغربي في وادي « محوط » او « محوض » حيث وجدنا في وسط ذلك
الوادي الوف الامتار المكعبة من التفت ظاهراً للعيان ويكاد يكون نقياً اي خالياً من
التراب وغيره ومن السهل استخراجها ونقله الى فلسطين . وكنا فعلنا ذلك لولا ان
الانكليز كانوا على ابواب اورشليم . فالى هذه الثروة العظيمة الثانية اوجه ابصار المتولين
من الوطنيين ايضاً

هذا وتفضلوا يا سادتي بقبول اذكي تحياتي ووافر احترامي ودمتم

المخلص

شديد باز الحداد

دكار سنغال

باب الزراعة

انتشار زراعة النخيل

لمستر بول بونو في المجلة الجغرافية الاميركية

ضروب الثروة في البلدان الاسلامية كثيرة ولكن الكتاب والباحثين فلما بذكرون مقام زراعة النخيل بينها على وجه من التحقيق . ولكن بعد البحث والتنقيب في كتب الاسفار والرحلات وتقارير الحكومات المختلفة والقناصل والاحصاءات الرسمية يستطيع الباحث ان يجمع كثيراً من الحقائق التي كانت تحسب نكرة لا تستحق الاهتمام . وخلاصة بحث كهذا تدل على انه يوجد نحو ٩٠ مليون شجرة نخيل منتشرة في مختلف البلدان اكثر من نصفها على شواطئ خليج العجم

في العراق وفارس

جاء في كتاب المسترد ومن دعاه « النخيل وزراعته في العراق » ان في العراق نحو ٣٠ مليوناً من اشجار النخيل منها نحو نصفها مزروع في شط العرب ونحو خمسة ملايين شجرة على ضفتي قنال الحلة ومليون في بغداد وضواحيها والباقي منتشر في واحات متفرقة على شواطئ الفرات

واما بلاد فارس فاكثرت ما يزرع فيها النخيل على شواطئ خليج فارس وفي بعض الاماكن المرتفعة . ويقدر المسترد ومن عدد اشجار النخيل المزروعة على الجانب الفارسي من خليج فارس مقابل شط العرب بثلاثة ملايين نخلة وسبع مائة وخمسين الفاً (٣٧٥٠٠٠٠) ويؤخذ من تقرير رفعة الدكتور فارتشيلد ان في نواحي ميناب في بندر عباس نحو خمسة ملايين شجرة وفي ناحية تانجستان ٢٥٠ الفاً . ولم اوفق الى الوقوف على تقدير ما عن انتشار زراعة النخيل في سائر بلاد فارس ولكني ارى انه اذا حسبنا اشجار النخيل فيها كلها نحو عشرة ملايين نخلة لم نبعد كثيراً عن الصواب

في الهند وبلوختان

يقول المستر اوبرين وكيل المندوب البريطاني في حكومة ماثان بالهند انه يوجد

ثمان الاف من اشجار النخيل في ملتان ومظفر جار وديرا غازي خان وديرا اسماعيل خان وباتووجانغ وبهاو البور والسند ٠ ويذكر ملن في كتابه « زراعة النخيل في البنجاب ولاهور الذي طبع ١٩١١ » ان الاناث من اشجار النخيل في ملتان بلغت ٣١٥٠٠٥٥ شجرة وفي مظفر جار ٩٩٩ ٨٣٨ شجرة وفي ديرا غازي خان ١٢٦ ٣٨٤ شجرة مجموعها ١ ٢٨٠ ٤٣٨

فاذا حسبنا تحكماً ان مضاعف هذا المجموع يشمل كل اناث اشجار النخيل في شمال الهند الغربي كان هناك نحو مليونين ونصف مليون شجرة نخيل انثى. وقد ذكر المستر ملن ايضاً ان في اكثر البلدان التي زارها في الهند كان نصف الاشجار كلها ذكوراً لذلك اذاضاعفنا العدد ثانية كان عدد اشجار النخيل في تلك البلاد اي خمسة ملايين شجرة واكبر مزارع النخيل في بلوخرستان تقع في وادي بانش غور حيث يقال ان هناك نحو نصف مليون شجرة وفي كاش بمكران ٠ وقد لا يقل عدد اشجار النخيل في بلوخرستان عن مليون شجرة ولا يزيد على مليونين

في بلاد العرب وسوريا وفلسطين

قبل ان الحسا كان فيها نحو مليوني شجرة على ما جاء في الاحصاء العثماني لسنة ١٨٧٧ وبقدر الدكتور فارتشيلد عدد الاشجار في القاطف بمليون و ٢٥٠ الفا فيبلغ المجموع لتلك الناحية نحو ٣ ٢٥٠ ٠٠٠ شجرة

وبقدر الدكتور فارتشيلد عدد الاشجار في البحرين بنصف مليون شجرة وقد يكون هذا العدد مبالغاً فيه بمض الشيء

وبؤخذ من بعض التقارير القنصلية ان في مقاطعة عمان في بلاد العرب اربعة ملايين شجرة نخيل اكثرها في منطقة الشاطئ المعروفة ببطينة وهي ممتدة الى ١٥٠ ميلاً شمال مسقط. وفي وادي اسماعيل نحو نصف مليون شجرة

ويزرع النخيل في حضرموت على الشاطئ وفي الداخلية ولكني لم اقف على تقرير يذكر عدد الاشجار ولكني اظن ان عددها لا يقل عن ٢٠٠ الف شجرة ٠ واما عدن فلا يزرع النخيل فيها كثيراً ولكنها من اكبر المرافيء لتصدير الرطب (التمر) ويزرع النخيل ايضاً على شواطئ اترية المستعمرة الايطالية في افريقية وفي بلاد الصومال والبلدان المجاورة لها ولكن ما يزرع هناك لا شأن تجاري له

ومعظم النجد اليمني لا يصلح لزراعة النخيل لارتفاعه ولكنك تجد مزارع نخيل زاهرة في الجوف ونجران وبعض الاودية في الداخل واظن ان عدد اشجارها معاً لا يقل عن ١٠٠ الف شجرة . اما الاصير فيقال ان فيها بعض المزارع ولكن محصول التمر فيها لا يكفي لسد حاجات اهلها لذلك لا شأن تجاري لزراعة النخيل فيها

وقد جاء في روايات العرب ان الحجاز هو موطن النخيل الاصلي والعناية بزراعته هناك كبيرة جداً واعظم مزارعه تجدها في العلا والمدينة ونياء وخيبر وليس من اثر لاشجار النخيل في مكة وانما تجد في المدينة نحو ٣٠٠ الف شجرة على ما جاء في تقرير لمل جلانلي وهانكي وشر كائهم وهو بيت تصدير في جده . ولا اظن انك تجد في كل الحجاز اكثر من نصف مليون شجرة

وتجد بعض الحقائق عن جبل شمر في كتاب الاميرالية الانكليزية عن بلاد العرب فقد جاء فيه ان بقعة تدعى اكدا فيها نحو ٧٥ الف نخلة وان في الجوف ٥٠ الفاً وقد لا يزيد مجموع الاشجار في كل هذه الولاية على ٢٥٠ الفاً . ويقال ان زراعته في القاسم بلغت شأواً بعيداً من الرقي وقد يبلغ عدد اشجاره في مزارع بور يده وعزله والقصبه ١٠٠ الف شجرة

اما سلطنة نجد فتستورد اكثر الرطب التي تؤكل فيها من الحسا . واعظم المراكز لزراعة النخيل في نجد الوسطى (العريض) هي الرياض وداريا . ويؤخذ من الصور الفوتوغرافية التي رايتها ان اشجاره هناك لا تزيد على بضعة آلاف . والى الجنوب وادى يدعى وادي الدواسير زاره حديثاً المستر فليبي وذكر حقائق مختلفة عن الضرائب التي تجمع هناك يستنتج منها ان محصول الرطب هناك يبلغ نحو ٥ ملايين رطل . ويمكن الحصول على هذا المقدار من نحو ٥٠ الف نخلة الى مائة الف . وفي الاخبار العربية ان زراعة النخيل في وادي جبرين متسعة جداً حتى لتضارع الحسا . وقد زارها المستر تشيزمن سنة ١٩٢٥ وكتب عنها في الجورنال الجغرافي مقالاً مسهباً لكنه لم يذكر ارقاماً عن انتشار زراعة النخيل فيها انما يؤخذ من صور الفوتوغرافية انها لا تزيد على بضعة آلاف . واذا جمعنا كل ما في نجد من اشجار النخيل لم تزيد على ٢٥٠ الفاً . ولا شأن كبير لواسط بلاد العرب في زراعة النخيل وهذا امر معروف لدى علماء الجغرافية مع انه يناقض الروايات الشائعة بين العرب . ولا يخفى ان اكثر الارقام التي مر ذكرها عن زراعة النخيل في بلاد العرب بتقديري الا انها اقرب الى الصواب مما نشر قبلاً واذا جمعنا كل ما يزرع في بلاد

العرب من النخيل بلغ تسعة ملايين شجرة ثلاثة ارباعها في شواطئ خليج فارس الغربية وفي عمان والحسا

ويزرع النخيل في جنوب وادي الاردن وغزه وقرب بيروت وطرابلس ولكن ما يزرع منه قليل لا شأن له في احصاء عام

في مصر وليبيا والقيروان

جاء في احصاء الحكومة المصرية لسنة ١٩٠٧ انه كان في مصر ما يزيد على عشرة ملايين شجرة نخيل يضاف اليها نحو ٤٧ الف شجرة في العريش و ٣٩٧٤ شجرة في سيناء ونحو نصف مليون شجرة في الواحات الغربية ومجموعها نحو ١١ مليون شجرة

ويؤخذ من بحث مسهب للعالم تشلس الايطالي ان مستعمرة طرابلس الغرب فيها نحو ٩ ملايين شجرة او مثل ما في الجزائر وتونس معاً ومعظم هذه الاشجار في الواحات التي على حدود الصحراء وكثير منها لا يخضع لحكم الطليان ولذلك فقد يكون هذا العدد اكثر من العدد الحقيقي

اما القيروان ففيها نحو مليون ومائتي الف شجرة منها ٢٠ الفاً على الشاطئ . وقد جاء في كتاب الاميرالية الانكليزية عن صحراء ليبيا ان هناك ٤٠ الف شجرة في جيلة ومائة الف في جالو و ٤٠ الفاً في وادي و ٢٠ الفاً في لسكر ومائة الف في سلا . والراجح انه لا يوجد في واحات الكفرة معاً اكثر من ٧٥٠ الفاً . وقد ثبت الآن ان تقدير الرحالة رولنس كان بعيداً عن الصواب . ولم تذكر روزيتا فوربس ولا حسنين بك تقديراً ما عن زراعة النخيل في تلك الواحات

في افريقية الفرنسية

في تونس ٢١٣٨٠٧٥ شجرة نخيل حسب احصاء ١٩٢٠ اكثر من نصفها في واحات صحران كالجريرد ونقزاوي . وهناك مزارع نخيل كبيرة في جابس وجفسا وجربا فيها نحو ٩٠٠ الف شجرة

وفي الجزائر ما يزيد على سبعة ملايين شجرة . وهذا التقدير مبني على حقائق جمعت من مكتب الحاكم العام سنة ١٩٢٤

وفي مراکش اكثر من مليون شجرة قليلاً حسب تقدير ادارة الزراعة برباط سنة ١٩٢٤

واظن ان اشجار النخيل في المستعمرات الفرنسية بافريقية الغربية لا تقل عن نصف مليون شجرة

ويزرع النخيل في اسبانيا في بلدة الشي نحو ١١٥ الف شجرة . كذلك يزرع في استراليا وجنوب افريقية واميركا الجنوبية والمكسيك وجنوب كاليفورنيا بالولايات المتحدة وارزونا وغيرها . ويقال ان لزراعته في برازيل وبيرو والارجنتين مستقبلاً بآهراً يؤخذ مما تقدم ان عدد أشجار النخيل المزروعة الآن يبلغ نحو ٩٠ مليوناً وبعض هذه الارقام مبني على التخمين ولكن ما يتعلق بالبلدان التي فيها معظم النخيل بنيت الارقام على احصاءات رسمية للحكومات التي تحكمها كما في العراق ومصر وطرانس الغرب وشمال افريقية الفرنسية . ومتى اجري احصاء دقيق لزراعة النخيل في مختلف البلدان قد لا نجد في هذا العدد من الخطاء اكثر من ٥ في المائة زيادة او نقصاً

من صحراء جرداء

الى جنة نضرة

مشروع ري الجزيرة وخزان سنار

منذ عشرين سنة امتطيت هجيناً من هجن السودان المعروفة بالصهب واخترفت سهل الجزيرة بالقرب من ود مدني عاصمة مديرية النيل الازرق فشافني ما رأيته من تربة الارض ومقدار ما فيها من خصوبة يشعر بها الرأي من تشقق الارض ونقلص اجزائها في زمن الجفاف وهو دليل عند الفلاح المصري على قوة الارض وجودة معدنها . وقد سرت عدة اميال قطعت فيها مئات من الافدنة لم يكن فيها من النبات سوى الذرة الرفيعة المعروفة عند السودانيين باسم الفترية وهي لا مثيل لها بين اصناف الذرة المصرية . وكانت زراعة الذرة محصورة في بعض مناطق من الارض وما بقي نمت فيه حشائش واعشاب مختلفة تؤخذ كلاً للسائمة طول ايام السنة

وقد اطلقت لفكري العنان في مصير هذه الاراضي الفتية فوصلت الى نتيجة واحدة هي ان اتساع نطاق الاعمال القطنية في انكلترا وكثرة الطلب على الاقمشة لا بد ان تدفع بذوي المال من الانكليز الى استثمار هذه الاراضي خصوصاً وان الحكومة المصرية في ذلك العهد كانت قد حتمت على حكومة السودان ان لا تروي اكثر من ٢٠ الف فدان رياً مستديماً بالآلات الرافعة

وبعد مضي عشر سنوات من ذلك التاريخ اي قبل شوبوب الحرب العالمية ببضعة اشهر اخترت مرة اخرى هذه البقعة وما بعدها بقطار سكة الحديد الذي كان يسير من الخرطوم مخترقا الجزيرة الى سنار ثم ينعطف غربا مارا فوق النيل الابيض بواسطة جسر (كوبري) الى ان يصل الى بندر الابيض عاصمة كردوفان. في ذلك الوقت بدى العمل الزراعي في سهل الجزيرة اذ أنشئت مزرعة على مسيرة ستة اميال شمال ود مدني بلغت مساحتها خمسة آلاف فدان وكانت تروى بالآلات الرافعة التي نُصبت على النيل الازرق. وبما يستحق الذكر ان اليد التي غرست اول شجرة قطن في سهل الجزيرة كانت يداً مصرية فان جماعة الصعايدة الذين جئ بهم وقتئذ الى السودان لمذ السكك الحديدية اشتغلوا في زرع المزرعة الجديدة المشار اليها بطريقة تقسيم المحصول فربح الواحد منهم من الزرعة الاولى ١٥٠ جنمياً الى ٢٠٠ جنيه فلم يطيقوا البقاء وهذه المبالغ في جيو بهم بعيدين عن الاوطان فحنوا اليها حنيناً جعلهم ينسلون تحت جناح الظلام عائددين الى بلادهم لا يلوون على شيء ولا يحرضون غيرهم على ارتياد تلك البلاد الفتية الغنية

وقد قضت سنة العمران ان ينمو سكان السودان بعد الفتح الاخير نمواً لا مثيل له في بلاد اخرى. فقد ذكر الباحثون ان سكان تلك البلاد بلغوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نحو عشرة ملايين نفس. فلما اجتاحت المهديّة البلاد وحكمت اهلها بالسيف والنار وجمعت معظم القبائل الكبيرة في ام درمان حتى فاق عدد سكانها في ايام خليفة المهدي اكثر من مليون نفس فقلت الزراعة المطرية وانتشرت الامراض والابوثة في البلاد خصوصاً مرضا الجدري والحصبة وما كان من الجوع والقحط عام ١٨٨٨ — كل هذه العوامل مع الحروب الاخيرة التي وقعت عند فتح السودان حديثاً انزلت عدد السكان الى مليوني نفس ثلاثة ارباعهم من الاناث والربع من الذكور

فتح السودان سنة ١٨٩٨ واهله كالعليل الذي ادنقه المرض وانهكت قواه الادواء فدله النظامي يد العون واسعفه بالعلاج فتمائل الى الشفاء وساعدته طبيعة البلاد وبقاؤه على الفطرة الاصلية على الابلال من مرضه فدخل في دور النمو السريع وكان نموه مدهشاً لم توقفه الامراض والابوثة ولا شلت حركته الحاجة الشديدة الى الطعام

ولما تولى فضيلة الشيخ محمد شاكر رئاسة القضاء الشرعي في السودان اصدر منشوراً بتجديد الصداق فجعله للفتاة ١٠٠ قرش وللتيب ٥٠ قرشاً فاقبل الاهالي على زواج الارامل وكن كثيرات فولدن البنين بكثرة كان يشعر بها من يمر في القرى السودانية بعد

سنة ١٩٠٢ اذ يري اطفالاً كثيرين يلعبون في جوانبها وهم اصحاء الابدان عراة
هذا الجيل الذي ولد في ذلك العهد بلغ افرادهُ الان من الرجولية وقد شبوا
على غير ما كانت عليه آباؤهم فقد كانوا يعتمدون على الرقيق في الحصول على اقوانهم
فنشأوا على حب الكسل والميل عن العمل . فلما اوقفت النخاسة وبطل الرق واباحت الحكومة
لرقيق القديم شيئاً من الحرية عمدت الناشئة الحديثة الى الاعتماد على نفسها وصار الشبان
يسعون للحصول على عيشهم بعرق جبينهم ثم تطلّعوا حولهم الى جيرانهم من مصريين
وسوريين وافرنجياً وهم يجاهدون في سبيل العيش و يعيشون عيشاً رغداً فمالوا الى تقليد
وهذا يقتضي مالاً والمال يحتاج الى الكد والكسح وهذان يقويان الاجسام ويفتلان الفضل
ويخلقان في المرء روح الاقدام ولذا رأيت الجيل الذي انا بصددهِ وقد بلغ افرادهُ الان
الخامسة والعشرين من اعمارهم يشتغلون في سهل الجزيرة ليلاً ونهاراً وقد أقطع كل
شخص منهم ٣٠ فداناً يزرع ١٠ منها قطناً و ١٠ « باقاً » ويترك العشرة الثالثة بوراً ليزرعها
قطناً في العام التالي وهكذا

وقد رأيت بعض هؤلاء المزارعين في مكوار وشهدت عمل غيرهم اثناء مرورنا في
بركات فاذا هم نشطون مجدون واذا اجسامهم صحيحة قوية لم يتطرق اليها مرض البلهارسيا
او الانكلستوما كما تطرق الى الفلاح المصري فاضعه وقلل قوة الانتاج فيه . وقد قال
لي احد البكتريولوجيين ان هذين المرضين يرافقان الري المنتظم كما يشاهد من شدة
انتشارهما في الوجه البحري وقلته في الوجه القبلي من القطر المصري وان على حكومة السودان
واجباً محتملاً هو مقاومة هذين الدائنين قبل انتشارهما واتخاذ الطرق الفعالة لدرء خطرهما

زرع في سهل الجزيرة في شهر يونيو الماضي ٨٠ الف فدان من القطن السكلاريدس
وبديء الجني فيها في شهر يناير الماضي . وقد قدر الخبيرون محصول الفدان الواحد من
 $3\frac{1}{2}$ — ٣ القنطار أي من ٢٨٠ الف الى ٣٠٠ الف قنطار . وفي السودان مزارع
اخرى للافراد يزرع فيها هذا الصنف من القطن والصنف الاميركي وهي تنتج نحو نصف
هذا المحصول . وهناك القطن الذي يزرع في طوكرو وكسلا ومجموع كل هذه الاصناف لا
يزيد على ٦٠٠ الف قنطار . ولكن هذا المقدار آخذ في الزيادة التدريجية البطيئة لان حكومة
السودان لا تنوي التوسع في ري الجزيرة لسببين اولهما عدم اتمام مشروعات الري التي
تخص القطر المصري فقد قرر الرأي مؤخراً على ترك مياه النيل الازرق على حالتها

الحاضرة الى ان تستغني مصر عنها بالنيل الابيض . والسبب الثاني عدم كفاية الايدي العاملة في السودان لتوسع كبير . وان حكومة السودان مصرة على ابقاء الاراضي لاهلها لزروعها والاقتصار عليهم وحدهم وهم الآن يكادون لا يكفون للمشروع الحاضر .
وتختلف زراعة القطن في السودان عن زراعته في مصر اختلافاً كلياً أوجدها طبيعة الارض فهم يزرعونها هناك في شهر يونيو كما اسلفت وبعد ان يذروا البذار في الارض ويسقونها للمرة الاولى تمطرها السماء غيثاً مدراراً في ذلك الفصل من السنة فتتم مع القطن بعض الحشائش البرية . فاذا جفت الارض اقتلعها الزراع بالة بسيطة وبطريقة مبهلة . وتكون شجيرات القطن حينئذ قد اظلت الارض فتعيق نمو تلك الحشائش فلا يبقى امام الفلاح سوى ملاحظة ري القطن عند مجيئ دوره الى ان تفتح لوزاته ويبدأ في جمعه . فلا عزيق ولا ترقيع ولا خف ولا سماد ولا شيء مما يقوم به الفلاح المصري في خدمة قطنه . اذاً فلا غرابة اذا استطاع الرجل وافراد عائلته ان يقوموا بزراعة عشرة افدنة قطن بدون حاجة الى مساعدة من الخارج الا في وقت الجني عند ما يكثر مجيئ الفلانة من غرب السودان قاصدين الحجاز مشياً على الاقدام فيقومون بعملية الجني باجور زهيدة

وقد حسبنا اثناء وجودي بالخرطوم مع كبير مفتشي مصلحة الزراعة هناك حساب العمل لزراع الذرة المطرية وقارنته مع مقدار العمل في زرع القطن في مشروعات الجزيرة فلم نجد فرقاً بين العاملين يعني ان الفلاح السوداني لم يزد حمله الزراعي سوى من باب الكمية وفي اكثر من الاولى وهو يريد ذلك لانه اصبح ميالاً الى الكسب والحصول على مال فوق حصوله على قوته اليومي

وقد اتبعت حكومة السودان في معاملة المزارعين في مشروع الجزيرة التقاليد الوطنية المتبعة بين الاهالي بعضهم مع بعض . فهم لا يؤجرون اراضيهم بعضهم لبعض بل يزرعونها بطريقة تقسيم المحصول بين المالك والمزارع . وعلى هذه القاعدة تعطي حكومة السودان للمزارع ٤٠ في المائة من محصول القطن وتأخذ لنفسها ٣٥ في المائة وتعطي لشركة السودان الزراعية ٢٥ مقابل ما تقوم به هذه الشركة من اعداد الاراضي للزراعة والبذرة ومراقبة سير العمل . اما محصول «الباق» فيأخذها المزارع كله دون ان يدفع شيئاً مقابلها

واذا رجعنا الى تقدير المحصول الذي اشرت اليه في هذه المقالة نرى ان معدل محصول الافدنة العشر من القطن يبلغ ٣٦ قنطاراً ومعدل ثمنها كلها ٢٧٠ جنيناً باعتبار

سعر القنطار سبعة جنيهات ونصف جنيهه يأخذ المزارع منها ١٠٨ جنيهات هذا علاوة عما يأخذه من الافدنة العشر الاخرى من ذرة لمؤونة بيته وعلف لماشيته لا نقل قيمتها من ٤٢ جنيناً

ويستطيع المزارع ان يربي ماشيته في مزرعته وينتفع من البانها ويربح من بيعها بعد تسعينها ربحاً لا يكلفه نفقة ما لانه يطعمها من الحشائش التي يلتقطها من زراعة القطن ومن اغصان اللوبيا التي تعتبر هناك مماداً جيداً للارض

والخلاصة ان مشروع ري الجزيرة الذي اتفق عليه الراسماليون الانكليز نحو ١١ مليون جنيه اذا عاد بالفائده على مغازل لانكشير ولنريبول ومنشستر فانه سيعود بالرخاء والثروة على اهالي السودان وانه كلما توسعت حكومة السودان في هذا المشروع كلما اتسعت موارد الرزق لاهله الذين سيأخذون بعد نصف قرن مكاناً لائقاً بين الشعوب الناهضة

الفتية

حلوان

اسكندر تادرس

خزان سنار والقطن في السودان

الجزيرة اراض واسعة مثلثة الشكل بين البحر الازرق والبحر الابيض اي بين فرعي النيل الاصليين جنوبي الخرطوم تبلغ مساحتها اكثر من ثلاثة ملايين فدان اي نحو مساحة الاطيان التي تزرع الآن في الوجه البحري . لكنها كانت محرومة من الري فلا يزرع منها الا القليل بماء المطر . رآها السر وليم غارستن فاشار في اوائل هذا القرن بانه يمكن رعيها رياً صناعياً فتأتي بخيرات كثيرة وخلفه السر مردوخ مكدونلد فاشار بأسلوب لريها وهو ان يبنى سد على البحر الازرق في مكوار على بضعة اميال من مدينة سنار جنوباً ولكن لم تدبر الاموال اللازمة لذلك الا سنة ١٩١٣ او شرع في بناء هذا السد سنة ١٩١٤ وجاءت الحرب فتوقف اكثر العمل ثم أعيد بعد الحرب . وتم بناء هذا السد لخزن الماء وراءه وفتحته اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في ٢١ يناير مع انه تم منذ يونيو واستعمل في الخريف الماضي للري . والسد بناء عظيم طوله ٣٠٣٥ متراً مبني بمجارة الغرايت والسمت فيه ٤٢٢٤٤٠ متراً مكعباً من الحجر والسمت ومعظم ارتفاعه ٣٩ متراً ونصف متر في الجزء الاوسط منه وطوله ١٨٠٠ متر ٨٠ فتحة كبيرة فوقها ٧٢ فتحة اصغر منها على جانبي هذا الجزء الاوسط عشرون فتحة اخرى وقد بلغت نفقات هذا البناء والترع الممتدة منه ٨٥٠٠٠٠٠ جنيهه واذا تم العمل لارواء كل الجزيرة بلغت النفقة ١٣ مليون جنيه

والخزان الحاصل من بناء هذا السد يسع ٦٣٦ مليون متر مكعب من الماء يطير بعضها بالتبخير فيبقى منها ٤٨٥ مليون متر مكعب للري. ويملا هذا الخزان في نوفمبر ويستعمل ماؤه الري من اواسط يناير الى اواسط ابريل. والارض المعدة للزراعة الآن من الجزيرة ومساحتها ٣٠٠٠٠٠ فدان تبعد عن الخزان ٥٧ كيلو متراً فتصل اليها المياه بترعة طولها ١١٤ كيلو متراً فيزرع ثلثها اي ١٠٠٠٠٠ فدان قطناً كل سنة و ٥٠٠٠٠٠ فدان ذرة طعاماً للفلاحين و ٥٠٠٠٠٠ فدان لوبياء علفاً للمواشيهم وتترك ١٠٠٠٠٠ فدان بوراً للزراعة في السنة التالية وهم جراً

ولا يراد ان يتم ري الجزيرة كلها الا اذا بنت الحكومة المصرية سدّاً آخر على البحر الابيض عند جبل اولياء على ثلاثين ميلاً من الخرطوم جنوباً لتضمن به المياه الكافية لري القطر المصري كله وعليه فيجمل ان يزرع في الجزيرة مليون فدان قطناً كل سنة اذا بنت الحكومة المصرية خزان جبل الاولياء وضمنت الماء الكافي لري القطر المصري كله

اوراق النبات المنيرة

يظهر احياناً في الاوراق المنتشرة من الاشجار نور ابيض فصفوري ولاسيما اذا دب فيها البلى. ويظهر مثل ذلك في الخشب البالي وجذور الخشب وكاف المظنون ان هذا النور يحدث من تولّد نوع من الفطر المنير عليها وان هذا الفطر يولّد مادة اذا اتصلت بالاكسجين الهواء والماء انارت لانه يحدث حينئذ فيها احتراق كيمياوي بطيء خال من الحرارة. الا ان الاستاذ بوز من اساتذة كلية الطب بكلكتا يحق بعض هذه الاوراق والاششاب المنيرة بعد ان اضاف اليها ماء بارداً او سخناً فبطلت انارتها دلالة على ان الفطر المنير فيها لا يفرز مادة تنير اذا اتصلت بالاكسجين او بالماء بل ان هذا الفطر نفسه ينير ما دام حياً. وايد ذلك بانه وضع الاوراق المنيرة في اناء وادخل اليه اكسجيناً صرفاً فزاد نورها بهاءً. وابدل الاكسجين بغاز الهيدروجين والنترجين فبطلت الانارة ثم ادخل الاكسجين فعاد النور ووضع الاوراق في اناء وخرج الهواء منه فبطلت الانارة ثم ادخل الهواء فعادت. واذا وضعت هذه الاوراق في النكلوروفورم او الالكحول بطلت الانارة وكذلك اذا وضعت في مكان جاف تماماً دلالة على انها تنير ما دام فطرها حياً فاذا مات الفطر بطلت الانارة

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة راعل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيوات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

انتقال العدوى وحاملو المكروب

تدلّ المباحث العلمية الحديثة والتجارب الطبية على ان اكثر الامراض المعدية تنتقل من المريض الى السليم مباشرة اذا كان احدهما قريباً من الآخر ولا يراد بذلك لمس الصحيح للمريض او لمس ثيابه واغطية سريره بل مجرد القرب منه كاف لانتقال العدوى لان مكروبات اكثر الامراض تخرج من رئتي المريض او حلقه او انفه او فيه حين الكلام او السعال او العطاس . فاذا اضفت الى ذلك المصافحة والتقبيل ولمس ثياب المريض او الاشياء التي لمسها قبلاً ككتاب كان يقرأ فيه او مرآة كان ينظر اليها اجتمعت لديك ابسط الوسائل وافعلها في نقل مكروبات الامراض المعدية . ومتى اتصلت المكروبات باليدين سهل اتصالها الى الفم والانف وسائر الاعضاء

كان يظن قبلاً ان العدوى نعيم زمناً طويلاً في ثياب المريض واثاث غرفه والغبار العالق بجدرانها ولكن المباحث الحديثة اثبتت ان المكروبات المرضية اي التي تسبب الامراض المعدية تكون في الغالب قصيرة العمر لا تستطيع ان تحتفظ بقوتها طويلاً خارج الجسد يستثنى منها مكروبات الانثراكس والتتانوس وسبب ذلك ان مكروبات هذين المرضين تكون لها قشرة متينة بعد انفصالها عن الجسم تعيش فيها فلا تفعل فيها الفواعل التي تميمت المكروبات الاخرى كنور الشمس والحرارة وما اليهما . ولذلك يكاد جمهور الباحثين يجمع الآن على ان العدوى تنتقل مباشرة من المريض الى السليم بالطرق التي ذكرناها الا في مرضي الانثراكس والتتانوس وفي الامراض التي من نوع الحمى المعدية كالكوليرا والدوسنتاريا . فان المكروبات التي تسبب هذه الامراض تكون في براز المريض وتنتقل عن طريق اللبن والماء وما اشبه من مواد الشراب والطعام متى تلوث بها . ومع ذلك فانتقال العدوى مباشرة في هذه الامراض ليس نادراً

وقد كان الرأي القديم القائل بانتقال العدوى عن طريق الثياب والاثاث ناجماً عن الجهل بوجود اناس يحملون مكروب احد الامراض من غير ان يصابوا به فيكونوا واسطة لنقل العدوى الى الاصحاء ويدعى هؤلاء حاملو المكروبات Carriers . وقد عرف الاطباء وجود « حاملي المكروب » في كثير من الامراض المعدية كالدفتيريا والتهاب الدماغ السحائي والانفلونزا وحُمى الامعاء والكوليرا والدوسنتاريا

وللاصابات الخفيفة التي لا يدعى الطبيب لمعالجتها شأن كبير في نشر العدوى. ذلك لان المصاب يصاب باعراض خفيفة لا تحمله على دعوة الطبيب فلا يُشخص مرضه تشخيصاً صحيحاً ولذلك يبقى حاملاً للمكروب يلوث به من يتصل به من الناس من غير ان يدري لذلك اذا اريد عزل المصابين عزلاً تاماً فعلاً وجب ان لا يقتصر العزل على المصابين الذين تظهر عليهم كل اعراض الداء بل على المصابين اصابات خفيفة لا تحتاج في الظاهر الى معالجة الطبيب وعلى « حاملي المكروب » الذين لا تظهر عليهم اعراض مرض ما . وهذا العزل التام متعذر ولذلك تبقى بعض الحوادث دائماً مصدراً للعدوى وهذا هو السبب في عدم استئصال بعض الامراض المعدية في المدن التي بلغ فيها نظام الصحة العامة شأواً بعيداً من الدقة والاحكام

فساد الاطعمة

تضطر ربة البيت احياناً كثيرة ان تبقى جانباً من اللحم من يوم الى آخر فاذا كانت الفصل بارداً فالغالب انها تجده سليماً ولكن اذا كان الفصل حاراً فالغالب انها تجده قد فسد واذا طبخته فقلما يسلم من يأكله من الضرر . فلماذا يسلم اللحم في الفصل البارد وينتن في الفصل الحار . يظن لاول وهلة ان الحر نفسه يفسده لكن ذلك غير صحيح كما يظهر باقل نظر فان اللحم يشوى على النار ولا يفسد ويطرح في الصحراء المحرقة فيجف ويبس ولا يفسد ايضاً فليس الحر سبب فسادهِ وكذلك قد يفسد اللحم ولو كان الفصل بارداً فما هو اذاً سبب الفساد

خذ اللحم الجديد وضعه في اناء من الصفيح والجمه حالاً بعد ان تسخنه واتركه يوماً او يومين وشهراً بل شهرين فلا يفسد ثم افتح الاناء وعرضه للهواء يوماً او يومين فالغالب انه يفسد . ويظهر من ذلك كأن الفساد اتاه من الهواء ولكن اذا فتحت الاناء وسدته قطعة من القطن النقي التي لا تمنع دخول الهواء اليه فانه لا يفسد فالفساد ليس من الهواء

نفسه بل هو من شيء في الهواء علق بين الياف القطن . وهذا هو الصحيح . وكما يفسد اللحم من شيء في الهواء يفسد من اتصال لحم فاسد به وسبب الفساد في الحالين واحد وهو مكروب الفساد فان هذا المكروب يكون في الهواء عادة و يلقى بجوانب الآنية والاقفاص التي يوضع اللحم فيها ولا سيما اذا لصق بها قليل من اللحم فاذا كانت الفصل بارداً جداً تأخر نموه كثيراً لان الحرارة المعتدلة لازمة لنموه مقوية له . واما البرد الشديد فيوقف نموه او يمنعه ولهذا ينقل اللحم الآن من استراليا او من اميركا الى بلاد الانكليز من غير ان يفسد لانهم يضعونه في غرف مبردة جداً حتى يصير ما فيها كالثليج او ابرد فلا تتكاثر فيها المكروبات و يبقى اللحم سليماً منها

ولا تستطيع ربة البيت ان تبرد هواء بيتها الى درجة تمنع فساد اللحم ولا تستطيع ايضاً ان تمنع الهواء عن اللحم ولكنها تستطيع منع الفساد بالمحافظة على نظافة الاقفاص والآنية التي توضع فيها اللحم فانها اذا كانت نظيفة جداً خالية من كل آثار اللحم المتن بقي اللحم فيها يوماً او يومين من غير ان يتن ولو كان الفصل حاراً واما اذا كان فيها اثر من اللحم الفاسد اتصل بمكروب الفساد منه الى اللحم الذي يوضع فيها وافسدهُ حالاً

اللباس والنور والصحة

كتبنا في مقتطف يونيو سنة ١٩٢٤ مقالة عنوانها « نور الشمس الشافي » وصفنا فيها الطريقة التي يجري عليها الدكتور روليه في ليزان بسو يسرا في معالجة حوادث التدرن العظمي . والمقالة الثانية من مقالات هذا الجزء تدور على فعل النور في الاحياء . وقد تلقينا بعد كتابتها الجزء الاخير من مجلة العلم العام فاذا فيه مقالة عنوانها « هل نكثرون لبس الثياب » اقتطفنا منها ما يلي

في اوربا حركة جديدة شعارها « اخلعوا الثياب » وقد انضم اليها مئات الالوف من الناس فهم يسبحون ويمرحون ويلعبون الالعاب الرياضية عراة . وقد بدأت هذه الحركة في المانيا بعد عرض شريط سينماتوغرافي علمي عنوانه « السبيل الى الصحة والجمال » مثل فيه صانعه احدث الاراء العلمية فيما للنور من الاثر في الصحة . وشهد هذا الشريط الالف من الذين لم يسمعوا قبلاً بالاشعة الكيماوية اي الاشعة التي فوق اللون البنفسجي التي تزيد قوة الجسم على مقاومة الامراض . ورأوا فيه ايضاً ان كثيراً من الامراض كالأكزيما والكساح والتدرن لا تعالج الا بنور الشمس وادركوا ان زجاج الشبايك يجب هذه

الاشعة المفيدة فلا تدخل البيوت . وما يفعله الزجاج تفعله الثياب ايضا
ولذلك اخذ الناس بولفون جمعيات غايتها تحرير الناس من قيود الملابس وسبيلها
القيام بالرياضة البدنية في الهواء الطلق تغمر اجسادهم اشعة الشمس المنعشة المفيدة . وقد
اتحدت هذه الجمعيات الآن ومجلس اتحادها يدير الآن ١٨٠ حديقة و ٩٠٠ ملعب و ٣٠٠
حمام بلعب فيها الناس ويستحمون بنور الشمس والقانون الاسامي الذي يجري عليه جميع
الاعضاء هو خلع الثياب حين الدخول الى احد هذه المنشآت

وقد احتج رجال البوليس اولاً على هذه الاعمال ولكن الحركة اخذت تنتشر انتشاراً
سريعاً حتى خرجت عن طاعتهم فهم يكفون الآن بمنع الناس من المشي في الشوارع عراة
ولكنهم لا يتعرضون لهم اذا لعبوا كذلك في اندبتهم الخاصة

وقد امتدت هذه الحركة الى بلاد الانكليز وسويسرا واسوج واعترض رجال
البوليس الانكليزي ايضا اعتراضاً شديداً عليها ولكنهم سمحوا في الصيف الماضي لهواة
السباحة ان يلبسوا اثواباً قصيرة تستر العورة فقط

وقد كتب الدكتور ليونارد هل مدير المعهد الوطني للبحث الطبي في لندن واحد
كبار الثقات في موضوع فائدة نور الشمس في العلاج اشار فيه على الرجال بان يقللوا
ملابسهم مثلاً تفعل النساء واشار على النساء اللواتي يردن ان يكنّ جميلات وان يتمتعن
بصحّة جيدة ان يلبسن اثواباً قصيرة وجوارب من الحرير الصناعي ويعرين اذرعتهن
ورقابهن وهذا الرأي الطبي ينطبق كل الانطباق على ما تستدعيه الازياء الحديثة

وقد ثبت الآن ان الرجال يعرضون للاصابة بالزكام وما اليه من الادواء اكثر مما
تعرض لها النساء لانهم يكثرون من الملابس . فقد اجرى الدكتور مميلي احصاء دقيقاً في
جامعة كورنل باميركا مدة اربع سنوات فوجد ان الشبان من الطلبة فيها معرضين للزكام
اكثر من البنات . وشركات التأمين على الحياة في اميركا اثبتت ان عدد الرجال الذين
ماتوا من النزلة الصدرية يفوق عدد النساء في ربع القرن الماضي الذي حتمت فيه المودة
على المرأة ان تقلل ثيابها . وقد وجدت احدى الشركات التي يبلغ عدد المؤمنين على
حياتهم فيها ستة ملايين ان ٩٤ رجلاً من كل مائة الف مؤمن ماتوا بالنزلة الصدرية
يقابل ذلك ٦٧ من النساء

وسبب ذلك ان في الجسم جهازاً عصبياً خاصاً عمله تعديل ورود الدم الى سطح
الجلد حسب تغير حرارة الهواء . وان هذا الجهاز العصبي لا يبقى في حالة صحية الا

بالرياضة المنتظمة واتساع المجال امامه ليقوم بوظيفته. فاذا غطينا الجسم بالاثواب الدافئة لم يعد الجسم يحتاج الى عمل هذا الجهاز فيستولي عليه الضعف و يصبح غير قادر على تلبية مطالب الجسم لحفظ حرارته الطبيعية التي تتغير بتقلب حالات الهواء . وكما ان الملابس تحجب نور الشمس عن الجسم كذلك تمنع حركة الهواء حوله . وقد جرب احد الاطباء في شيكاغو تجارب في اجراء الكلاب ليعرف ما هو اثر التعرض للهواء الطلق في الصحة فالبس بعض الاجراء اثواباً كثيفة من الفلانلا يغطي الثوب منها كل جسم الجرو عدا رأسه ورجليه ووضع الاجراء في مستنبت ومعهما اجراء اخرى لم تلبس شيئاً واطلق الهواء في المستنبت فماتت الاجراء التي كانت لابسة ولم تصب الاخرى باذى

وقد ثبت للباحثين ان الاشعة التي فوق البنفسجي وهي الاشعة المفيدة صحياً تنفذ من الحرير الصناعي اكثر مما تنفذ من الاقشة الاخرى لذلك ينصح الاطباء للسيدات بلبس جوارب الحرير الصناعي . وكما قلت طبقات الثوب قل ما يسببه من الضرر يجنبه هذه الاشعة

ويقول الدكتور هس من مشهورى اطباء نيو يورك انه جرب تجارب كثيرة فيما للاشعة التي فوق البنفسجي من الاثر في الكتاكيت والجرذان فعرّض بعضها للاشعة التي فوق البنفسجي ولاحظ ما يلزمها من الوقت حتى يكسبها هذا التعرض مناعة ضد مرض الكساح . ثم البس هذه الحيوانات اثواباً رفيعة من قطن النانسكر فوجد ان زمن التعرض اللازم يزداد بزيادة الملابس

حشرات البيت

حشرات البيت كثيرة كالجرذان والفيران والذبان والصراصير والبراغيث والبق والنمل والبعوض وكلها مما يمكن التخلص منه بالنظافة واحكام مرتفعات البيت لان هذه الحشرات لا تتولد ولا تكثر الا حيث تجد لها طعاماً والاقذار طعامها في الغالب فاذا كان البيت نظيفاً تمام النظافة وكانت مرافقه محكمة كلها ولم يكن فيه شقوق وثقوب تأتي منها الجرذان والفيران والصراصير والنمل ولا ماء راكد يتولد فيه البعوض سلم من الحشرات الا ما يأتيه من الخارج كالذباب التي تتولد فيما يلقى حول البيت من الزبل . ولذلك تجد المدن الاوربية التامة النظافة خالية من الحشرات

باب التقريظ والانتقاد

الصحافة ورجال السياسة

Politicians and the Press.

اهدي الينا لورد بيثر بروك صاحب جريدة الديلي اكسبرس والصندي اكسبرس وغيرها من الصحف الانكليزية نسخة من كتابه الجديد الذي عنوانه «الصحافة ورجال السياسة». ولا يخفى ان لورد بيثر بروك ابن قسيس كندي من اصل اسكتلندي ولد في كندا سنة ١٨٢٩ واشتغل بالتجارة فيها فاشترى وهو لا يزال في مقتبل العمر ثم انتقل الى بلاد الانكليز فانتخب عضواً في البرلمان من سنة ١٩١٠ الى سنة ١٩١٧ ثم عين وزيراً لدوقية لانكستر فوزيراً «للاخبار» سنة ١٩١٨ وورقي الى مصاف الاعيان فاعتزل الاشتغال بالسياسة مباشرة مؤثراً الاشتغال بها عن طريق الصحف فاشترى جريدة الديلي اكسبرس ثم انشأ الصندي اكسبرس وقد كتب هذا الكتاب ليعين موقف جريدته في اهم الشؤون السياسية بعد عقد الهدنة كالاتخاب العام الذي تلاها والمعاهدة مع ايرلندا وسقوط وزارة لويد جورج بعد حادثة جنناق قلعة وتصفية الدين الانكليزي الاميريكي والاتخاب العام الذي اجراه المستر بلدون على مسألة «حماية التجارة» فحسب فيه اكثرية المحافظين وادى الى تربع العمال في دست الوزارة وميزانية المستر تشرشل والصهيونية ويظهر من سياق الحوادث في كتابه هذا ان على الصحيفة الراقية ان تقف ازاء رجال السياسة موقفاً مستقلاً عن الاحزاب لا تحركها الا الغيرة على المصلحة القومية والخير العام. هي تجرب ان تقنع السياسي بصحة موقفها وهو يحاول ان يقنع اصحابها بصحة رأيه لكسب تعظيمها. فتعصده اذا اتفقا وتنتقده اذا اختلفا وقد تعصده في امر وتنجاز الى خصومه في آخر ولا يعاب عليها هذا التقلب لانها لا تتخدم الاشخاص بل المبادئ والقواعد السياسية

ولا يخفى ان هذا الاتجاه جديد في الصحف وهو اتجاه حميد لانه يجعل الصحيفة حرة في ان تطلع قراءها على الحقائق مجردة عن صبغة الاحزاب وتطلع الحكام على ما يعتقدونه الناس وتقف سداً في وجه كل حكومة تسير بسفينة الدولة على الصخور. انما يتحتم عليها لكي تنجح

في عملها هذا ان تكون مترفعة عن الرشوة بعيدة عن التحزب الاعمى بصيرة بالمصالح القومية هذه خلاصة رأي لورد بيثر بروك في مهمة الصحافة الحديثة. واذا صح ان نلخذ انتشار الصحيفة قياساً لفائدتها ومقامها كانت جريدة الدبلي اكسبرس من اعلى الصحف مقاماً لانها وجريدة الدبلي ميل في مقدمة الصحف الانكليزية بل صحف العالم انتشاراً. وقد زاد ما يوزع منها نحو ثلاثة اضعاف بعد ما اشتراها لورد بيثر بروك وجرى فيها على الخطة التي لخصناها فيما تقدم

تربية الذوق السليم

واثر الفنون الجميلة فيها

« التربية الصحيحة هي التي ترمي الى غايات ثلاث : حب الحق الذي هو نتيجة التربية العقلية . وحب الخير الذي هو نتيجة التربية الخلقية . وحب الجمال الذي هو نتيجة التربية الذوقية . ولكل غاية من هذه الغايات الثلاث سبيل يوصل اليها . فسبيل التربية العقلية العلم وسبيل التربية الخلقية الدين والاخلاق وسبيل التربية الذوقية الفن الجميل »
بهذا البيان البديع والتبويب السهل افتتح الاستاذ احمد فهمي العمروسي بك محاضرة في تربية الذوق السليم . وقد القاها على جماعة من رجال التعليم في مؤتمر التعليم الاول الذي التأم بالقاهرة في يوليو سنة ١٩٢٥ . وقد طبعت المحاضرة الان وزينت بالصور الاثرية والفنية البديعة لتقريب ما ذكر فيها من الحقائق والمبادئ من تناول القراء والخطبة تشتمل على ثلاثة اقسام مقدمة ثم كلام على الرسم والتصوير وعلاقته بتربية الذوق السليم ثم كلام على الموسيقى . ويليها « كلام على الفنون الجميلة عند العرب » منها كلام للمقريزي يظهر منه ان المصورين من العرب كانوا يعرفون التصوير الذي تجسم به الاشخاص حتى تظهر ذات طول وعرض وعمق معاً . قال المقريزي
« كان البازوري سيد الوزراء الحسن بن علي بن عبد الرحمن احد وزراء الفاطميين مشغوقاً بالنظر الى الصور والكتب المزوقة ولوعاً بالتحريض بين المصورين واغراء بعضهم . وقد حدث مرة ان استدعى ابن عزيز المصور العراقي لمنافسة المصور المصري المعروف بالقصير لانه كان يشتت في اجرتة ، فلما حضر الاثنين في مجلسه قال ابن عزيز « انا اصور صورة اذا رآها الناظر ظن انها خارجة من الحائط » وقال القصير « لكن انا اصورها فاذا نظرها الناظر ظن انها داخلية في الحائط »

«فقال الوزير هذا اعجب وامرهما ان يصنعا ما وعدا به فصورا صورتي راقصتين في حنيتين مدهونتين متقابلتين هذه تُرى كأنها داخلة في الحائط ، وتلك تُرى كأنها خارجة منه . صور القصيرُ الراقصةَ بشباب بيض وقد دهن الحنية بالسواد فكانت كأنها داخلة فيها . وصورها ابن عزيز بشباب حمر وقد جعل الحنية صفراء فكانت كأنها خارجة منها . فاستحسن البازوري ذلك منهما وخلع عليهما ووهب لهما كثيراً من الذهب »

عامان في عمان

خير الدين افندي الزركلي ادب اشتغل بالسياسة واتحفنا بكتابين سياسيين الاول وصف فيه رحلته الى بلاد العرب وعنوانه « ما رأيت وما سمعت » وقد ذكرناه في جنبه . وقد نشر الآن كتاباً عنوانه « عامان في عمان » وصف فيه ما شهده او علم به في خلال اقامته بعمان عاصمة حكومة شرقي الاردن . والكتاب ليس تاريخاً ولكنه رواية شاهد عيان يصح ان تكون مادة يستخرج منها المؤرخ ما يقارنه بغيره من الروايات حتى نجى احكامه اقرب الى الصواب . وقد عني بنشره حضرة النشيط يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

جبل الدروز وسلطان باشا الاطرش

شغلت الثورة الدروزية افكار الشرقيين وصارت مدار احاديثهم وموضوع اخبار الصحف والتلفرافات فلا بدع اذا اهتم الاستاذ حنا ابي راشد صاحب مجلة القاموس العام بوضع كتاب مسهب يبحث فيه في تاريخ الدروز واخلاقهم ونسبهم وعاداتهم واعقاداتهم واشعارهم وحروبهم وآثارهم . وقد وقف جانباً منه على سيرة سلطان باشا الاطرش زعيم الثورة الاخيرة واسبابها ووصف بعض معاركها ونشر وثائقها المهمة . والكتاب مزدان بالصور الكثيرة والخرائط وفيه ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير . وقد طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بمصر وثمنه ٢٠ غرساً صاعاً

✽ ذو اليد الحديدية ✽ مأساة تاريخية لشاعر الالمان المشهور غوته . وقعت حوادثها في المانيا الجنوبية في القرون الوسطى وفيها وصف لاحوال الناس حينئذ واخلاقهم وامورهم السياسية وعقائدهم وخرافاتهم . وقد نقلها الى العربية الاديب شديد باز الحداد من تجار السوربين في السنغال . وقد طبعت بمطبعة الصفاء بعبيه لبنان

بَابُ الْمَسْئَلَةِ

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج من دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يعرض مسأله باسمه والقباه ومحل اقله امضاء واضعا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا وبين حروفا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائلا وان لم ندرجه بعد شهر آخر تكون قد اهلته لسبب كاف

(١) اسباب اليرقان وعلاجه

غزه . محمد افندي فرح الفالوجي . ما هو مرض اليرقان وعن اي شيء يتسبب وما دواء الحكمة التي تنشأ عنه وما هي النجعة الادوية في علاجه وما هي الاغذية التي يجب على المريض ان يتعاطاها في هذا المرض وما هي الاعراض التي تدل دلالة واضحة عليه وهل تنفع فيه الوصفات العربية المأخوذة عن كتب الطب القديم

ج . ان افضل ما نراه جوابا لمسائلكم هذه ما نشرناه في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٢٣ بعنوان «الكبد والصحة» حيث قيل في الصفحة ٢١٨ وما يليها ما نصه

اليرقان من اوضح ادواء الكبد وسببه في الغالب شرب الماء الآسن واكل الطعام الفاسد او الملوث بالجراثيم المرضية او مرض في الامعاء ناتج من شرب ذاك الماء واكل هذا الطعام . والمسكرات من اضر المواد بالكبد لانها تؤثر في المادة الدهنية التي فيه وتضعف مقاومته للجراثيم المرضية

ومادة اليرقان تنتشر في الجسم كله ولكنها لا تظهر واضحة الا في الجلد واصلها من كريات الدم الحمراء فان هذه الكريات تندثر من وقت الى آخر وتدفن فضلاتها في الكبد فيحلها وينزع المادة الملونة منها ويصبا في المرارة فتجري مع الصفراء الى الامعاء وتخرج مع البراز ويجري بعضها الى الكليتين ويخرج مع البول فتلون البراز والبول بالوان مختلفة من الاحمر الى الاخضر فالبرقالي فالاصفر ولذلك تجد ان من يضرب ضربا مبرحا يحمر جلدُهُ ثم يزرق ثم يصفر ثم يمزق كريات الدم الحمراء حيث يقع الضرب وهذا التلون ناتج من فعل الحديد الذي في الكريات الحمراء

فاذا اندثرت كريات الدم الحمراء للبدن من الاسباب باسرع مما يستطيع الكبد ان يرسل فضلاتها الى الامعاء والكليتين لتخرج منها او اذا اصاب الكبد ما يضعفه عن القيام بوظيفته او اذا حدث الامران معا في وقت واحد بسبب حمى او مرض آخر

مكروبي ولو كان زكاماً بسيطاً انتشرت المواد الملونة من الكريات الحمراء المندثرة في البدن وصفرت الجلد

وقد يصفر جلد من يصاب بالانيميا لان كريات دمه الحمراء يتلف الكثير منها حينئذ تنتشر مادتها في جلده وتصفره. ومن اسباب اليرقان ايضاً الزكام اليرقاني فانه يكون فيه مادة سامة تتلف كريات الدم الحمراء وتحدث التهاباً في الكبد وتسد القناة الصفراوية ولذلك يسمى بالزكام اليرقاني. ومن اعراضه الخاصة القبض وسوء الهضم وفقد الشهية للطعام لانه يتعذر حينئذ وصول الصفراء الى الامعاء لتساعد الهضم وتقوي الامعاء. ومن اعراضه ايضاً الصداع لان الصفراء تكون في الدم حيث لا داعي لها. ومنها الحكمة في الجلد لان الهموغلوبين وهو المادة التي تلون الكريات الحمراء شديد التهيج حيث يصل اليه النور وهو سام ولكن الكبد يبطل ضرره

ومن اشكال الانيميا او فقر الدم شكل يكثر فيه تلف كريات الدم الحمراء لسبب مرضي حتى لا يبقى منها فيه الا ثلثها او اقل من الثلث فيصفر الجلد او يخضر من فعل الحديد الذي في الكريات التالفة وهذه الكريات تذهب الى الكبد وتخزن فيه واكثر حديدتها فيها وهو نصف الحديد الذي في الجسم كله وتخزنها في الكبد لا

يقصد به نزحها من الجسم بل حفظها هناك الى اليوم الذي يزول فيه السبب المرضي الذي يتلف كريات الدم وحينئذ يعود الجسم الى هذا الحديد المخزون ويتناوله من الكبد ولذلك يبقى الجسم على صفوته في داء اليرقان لا تنفع فيه الادوية الحديدية الى ان يزول السبب المكروبي الذي أحدث اليرقان من الانف والثثة واللوزتين او من حيث يوجد

فليرقان سببان مباشران إما اندثار الكريات الحمراء بامر سريع مما يستطيع الكبد على نزحها من الجسم والتخلص منها او خلل في الكبد حتى يعجز عن نزح الكريات المندثرة. وقد يحدث هذان السببان المباشران بفاعل واحد اي بمكروب سام يتلف الكريات الحمراء ويوقع الالتهاب في الكبد فتتسد القناة الصفراوية. ومن اعراض هذه الآفة سوء الهضم وفقد الشهية للطعام والقبض المسبب من عجز الصفراء عن الوصول الى الامعاء وهي لازمة هناك لتنبيه الامعاء وتساعد على الهضم ويحدث الصداع حينئذ من تكاثر الصفراء في الدم حيث لا داعي لوجودها. ثم تحدث حكة في الجلد لان بعض ما ينحل اليه هموغلوبين الدم مادة تهيج تهيجاً شديداً من وقوع النور عليها وهذه المادة يكفينا الكبد شرها واهمية اليرقان تثقف على اهمية العلة

والتي تسببه فاذا كانت زكامًا بسيطًا او اسهالًا خفيفًا فلا شأن له لانه يزول بزوالها وانجح دواء له حينئذ تنظيف الامعاء بمسهل بسيط وتنظيف الكليتين بشرب الكثير من الماء النقي ولكن اذا كان سببه مكروب الحصى الصفراء فهناك الطامة الكبرى لان هذا المكروب يتلف كريات الدم الحمراء ويسبب القيء الاسود الحاصل من انحلال الدم ويسم الكبد . وبين هذين الطرفين اليرقان الحاصل من انسداد القناة الصفراوية بما يسمى بالحصى الصفراوية . وهي في الحقيقة تطرف في النفع فانها ليست حصى بحدس المعنى بل مادة شمعية او الكحول متجمد كاقراص الالكحول التي تستعمل الآن وقوداً بدل الالكحول السائل . وفي كل اجزاء انسجة الجسم شيء قليل من هذه المادة الشمعية ولا سيما في الدم حيث عملها وقاية كريات الحمراء من المكروبات وممومها فاذا انحلت كريات الدم ووصلت الى الكبد التقطها مع هذه المادة الشمعية المتصلة بها وجرت منه الى الصفراء واستقرت في المرارة والظاهر انها تكون قد سئمت السير فتلقي عصا الترحال ويطيب لها المقام . ويتفق في ساعة شؤم ان يتبعها الى هناك بعض مكروبات التيفويد او الاسهال فنجيط به لنمنع ضرره وكما وصل الى هناك جانب جديد من الشمع احاط بالذي قبله

ومن اشهر العلاجات التي تعالج بها هذه الحصوات المرارية شرب زيت الزيتون فانه يزيد افراز الصفراء بعض الزيادة وبلين العضلات فيسهل على الحصوات الخروج من القناة الصفراوية انتهى

اما الوصفات العربية المأخوذة من كتب الطب القديم فبعضها مفيد كالسائل وبعضها لا تعرف حقيقته فان فيه اسما غريبة لا نعرف ماهيتها وهي كثيرة جداً تملأ صفحات من المقتطف حسب انواع اليرقان واسبابه

(٢) الجوهر والجوهر الرد

زنجبار . السيد رشيد بن احمد رشيد . ما معنى الجوهر والجوهر الفرد والجوهر البسيط وما معنى العرض في قولهم الفعل عرض يوجد مع الاستطاعة . وما معنى الشكل المفسر بالهيئة الحاصلة للجسم بسبب حد واحد وبالقدار كما في الكرة او حدود كما في المضلعات من المربع والمسدس

ج . يراد بالجوهر الشيء القائم بنفسه ويقابله العرض وهو الشيء القائم بغيره

السواد الى البياض ولماذا لا يحدث مثل ذلك في اجسام الحيوانات

ج . الاصل في الشعر البياض اي ان مادة الشعر بيضاء وهي تسود من وصول مادة سوداء اليها من الدم ورسوبها فيها فاذا انقطع وصول هذه المادة السوداء اليها وهي نامية صار ما يزيد في نموها خالياً من المادة السوداء . وبعض الحيوانات يبيض شعرها او صوفها في البلاد الباردة اذا جاء فصل الشتاء وغطى الثلج الارض اية يبطل رسوب المادة الملونة فيه . ويبطل تكوّن هذه المادة او رسوبها في شعر الانسان في شيوخته كما يبطل نمو اعضائه . ولنا في ذلك رأي لا يزال فطيراً وهو ان كان الانسان يمثل في نمو جسمه من اول تكونه جنيناً الى ان يولد الدرجات التي مرّت عليها اجناس الاحياء التي نشأ منها نوع الانسان حسب مذهب النشوء فهو يمثل في تغير لون شعره الدرجات التي مرّت عليها نوع الانسان في العصور الجيولوجية الفائرة وتغير الحر والبرد فيها . فقد رأينا اولادنا بولدون وشعرهم اسود حالاً السواد كشعر سكان الاقاليم الحارة ثم يشقرّ رو بدارو بدار حتى يصير ذهبياً كشعر سكان الاصقاع الباردة ثم يعود الى ما بين الاسود والاشقر كسكان المنطقة المعتدلة كما أنهم يمثلون اسلافهم قبل العصر الجليدي الاخير وفيه وبعده او

فالورد جوهر ولونه ورائحته عرضان قائمان به . والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ وذلك مبني على رأي القائلين ان الاجسام كلها مؤلفة من اجزاء صغيرة جداً لا يمكن قسمتها فعلاً . وقد اتضح الآن ان كل جسم مؤلف من دقائق صغيرة جداً من الكهر بائية . والجوهر البسيط كالجوهر الفرد . ويظهر لنا ان كلمة الكرة حقها ان تكون « الدائرة » فان لما حداً واحداً وان جاز ان يحسب مؤلفاً من اضلاع كثيرة متناهية في صغرها وبذلك عرف محيطها . والمضلعات التي تحيط بها اضلاع كالربيع فان له اربع اضلاع والمسدس فان له ست اضلاع . وهذا الكلام كله مبهم لأن الذين ترجموا كتب العلم والفلسفة من اليونانية الى العربية لم يكونوا يحسنون اليونانية او العربية فجاء تعريبهم غاية في الابهام وتابعهم الذين جاءوا بعدهم في الغالب

(٣) معنى بلشفك

ومنه ما معنى كلمة بلشفك الروسية . ج . معناها الاكثرية كان الذين ادعوا حسبوا انفسهم اكثرية

(٤) بياض الشعر وسابه

ومنه . كيف يظهر بياض الشعر في المتقدمين في السن دون الشباب الا نادراً وكيف ينشأ هذا البياض بعد ان كان الشعر اسود ولا ينقلب دفعة واحدة من

كأنها غير مستعدة له وفي النوبة الثانية يكون تعبها اقل منه في النوبة الاولى وهم جراً الى ان تعتاد تلك الحركة ولا سيما اذا كانت قياسية فتصير تنتظرها وتزاح اليها . وهذا يشبه الارصاد او التوشيح في البديع كما في قوله

فان قليل الحب بالعقل صالح

وان كثير الحب بالجهل فاسد
فان قاري هذا البيت او سامعه يعرف كلمة فاسد قبل الوصول اليها فيرتاح الى ذلك كمن كشف شيئاً جديداً

وقد ألف الانسان الانغام الموسيقية الشائعة في بلده منذ طفولته بما يسمعه من امه فترتاح اذنه اليها ولا سيما اذا كانت مصحوبة بكلمات تلذ له فاذا لم يألف غير الانغام البسيطة المؤلفة من صوتين او ثلاثة كانغام البرابرة تعذر عليه فهم الانغام الكثيرة التركيب في الموسيقى الاوربية فلا يطرب لها كما لا يسر من يقرأ شعراً لا يفهم معناه ولكنه اذا تمرن على سماع تلك الانغام زماناً طويلاً حتى الفتها اذنه وصارن تنتظر النغمة الواحدة من سماع التي قبلها صار يرتاح اليها ويطرب بها . فالطرب اكتسابي ولكن الاستعداد له صار وراثياً في طوائف الناس

(٧) احتواء البزرة للشجرة

ومنه . هل تحوي بزره الخوخة مثلاً

كأن اسلافنا كانوا يسكنون بلاد آحارة ثم انتقلوا الى بلاد بادرة ثم الى بلاد معتدلة (٥) جزيرة سرنديب وحكومتها

ومنه . هل لسكان جزيرة سرنديب حكومة منظمة وملك مستقل وله وزراء وكم يبلغ عددهم وما لغتهم وهل هم تحت حماية دولة اوربية

ج . جزيرة سرنديب وتسمى الآن جزيرة سيلان استولت عليها بريطانيا نهائياً سنة ١٨١٥ بعد ان خلعت آخر ملوكها ولها الآن حاكم انكليزي وجمعية تشريعية وعدد سكان الجزيرة الآن اربعة ملايين ونصف مليون ولغة اكثرهم آرية الاصل مثل البهلوية لان اسلافهم جاءوا سيلان من وادي نهر الغنځس (الكنج) نحو سنة ٥٤٣ قبل المسيح

(٦) تمليل الطرب بالموسيقى

بغداد . علي افندي الرائي

لماذا نظرب لسماع النغمات الموسيقية وهل نظرب انساناً لم يسمعها في حياته للمرة الاولى وهل طربنا للنغمات اكتسابي كما في بعض اقسام الشعور وكيف ذلك

ج . الصوت اهتزاز ينقله الهواء الى الاذن فيصل الى الياف عصبية دقيقة ومهزها فيصل تأثيرها الى مركز الشعور بالاصوات في الدماغ . ففي النوبة الاولى تجدد هذه الالياف العصبية شيئاً من التعب في تحرّكها

ج . اما كون مصر نالت استقلالها السياسي فهذا امر لا شبهة فيه ولكن انكثرا احتفظت بامور ليصير الاتفاق عليها مع مصر وكان في الامكان ان يتم الاتفاق عليها قبل الحوادث الاخيرة ولكن اُخِرت الحوادث حلها ومتى حُلَّت على ما نرجو لا يبقى ما يظهر انه مناقض للاستقلال . ثم متى تم الانتخاب لمجلس النواب فالوزارة تكون من الحزب الاكبر لانها لا تستطيع ان تعمل عملاً حينئذ ما لم تؤيدها اكثرية النواب (١٠) رقي الصينيين

ومنه . اي الشعبين ارقى عرب الحجاز ونجد واليمن او الصينيون

ج . لقينا من الصينيين رجالاً لا مثيل لهم في بلاد العرب من حيث معارفهم العلمية والفنية . تجار والصين وعلماء الصين ووزراء الصين ومديرو معاملها وقواد جيوشها لا يفوقهم امثالهم من الاوربيين والاميركيين . واوربا كلها تخطب الآن ود الصين وتخشى بأسها لا لان شعبها كله متمدن كالشعب الاوربي بل لان زعماءه لا يقلون الآن عن غيرهم حنكة ودهاء ولا يفوقهم الا زعماء اليابانيين ولكن هؤلاء صاروا الآن ارقى من امثالهم في اوربا واميركا

(١١) زراعة البن في مصر

ومنه . لاي سبب لا يزرعون البن في مصر مع ان طقس مصر مثل طقس ولاية

مودة مصفرة لشكلها التام بعد ان تستنبت وتنبو باغصانها وثمارها وكيف ذلك
ج . كلاً ولكنها تحوي جراثيم قليلة فيها استعداد للنمو على صور مختلفة حتى يتكون من مجموعها شجرة الخوخ باغصانها واوراقها وازهارها وثمارها

(٨) تعليق التمدد

ومنه . كيف تمللون تمدد المادة وما ماهية التمدد

ج . الجسم مجموع جواهر صغيرة جداً وفي على درجات الحرارة العادية بعيد بعضها عن بعض بعداً شاسعاً ومتحركة دواماً فاذا زادت حرارة الجسم زادت حركتها فيزيد تباعدها بعضها عن بعض فاذا كان الجسم جامداً فقد يسيل بهذا التباعد او يصير بخراراً واسع الحجم جداً

(٩) استقلال مصر

اتاجوبي بالبرازيل . الخواجه ميخائيل كساب . ما هو استقلال مصر وما هي الحربة التي نالتنا لاننا نسمع من الوجه الواحد ان مصر نالت الاستقلال وصار لها سفراء في الخارج . ومن وجه آخر نرى الجيوش الانكليزية والسيطرة الانكليزية باقية كما كانت ونرى ان الحزب الذي هو الاكثرية الساحقة لا يقدر ان يستلم الوزارة بخلاف ما هو في اوربا حيث يستلم الوزارة الحزب الذي يفوق غيره عدداً

لأنكثرا ولكن الحلفاء من دول أوروبا يقولون ان الحرب كانت مشتركة بيننا وكان على كل دولة ان تقدم لها كل قواتها من مال ورجال واساطيل فهل يحق للتي انفتت من اموالها اكثر من غيرها ان تطالب الغير به ولا يحق للتي قتل من رجالها اكثر مما قتل من رجال غيرها ان تطالب ذلك الغير بما يقابل من قتل من رجالها زيادة على غيرها ولذلك تجب انكثرا غير ملحة في طلب مالها من الدين وقد لا تطالب من يتعذر عليه الايفاء

(١٤) دائرة معارف القرن العشرين
زبير . السيد سعد بن احمد الربية .
هل تم تأليف دائرة معارف القرن العشرين للاستاذ وجدي وهل طبعت طبعة ثانية وهل فيها رسوم
ج . بلغنا انه تم طبعتها وان ليس فيها رسوم

(١٥) ثمن مجلدات المقتطف
ومنه . كم ثمن مجلدات المقتطف من اول صدوره الى ختام سنة ١٩٢٥ مجلداً
تجليداً افرنجياً خالصاً اجرة البريد
ج . اربعون جنهماً مصرياً ولكن بنقصها مجلدان او ثلاثة
(١٦) المكاتب السيامي الشرقي
ومنه . من هو المكاتب السيامي الشرقي لجريدة المقطم

سان باولو على ما اظن . وهل جرب احد زرعه ام لا

ج . انما يوجد البن في الاراضي الجبلية او المرتفعة عن سطح البحر اكثر من ١٥٠٠ قدم . والاراضي المصرية سهول كلها وليس فيها ما ارتفاعه ٥٠٠ قدم . وقد زرعت وزارة الزراعة اشجاراً قليلة من البن للزينة او ليرى الطلبة ما هي

(١٢) منام انكثرا المالي
ومنه . قرأت مقالة لاحد الكتاب يقول فيها ان انكثرا اذا استوفت مالها من الديون من بقية الدول استعادت مركزها المالي قبل الحرب فهل هذا صحيح وهل من الممكن ان يعود الجنيه الى نسبته السابقة الى الريال الاميركي

ج . لا تزال انكثرا في مركزها المالي القديم وقد عادت نسبة الجنيه الى الريال كما كان قبل الحرب تقريباً

(١٣) ديون انكثرا
ومنه . لاي سبب لا نرى انكثرا تطالب بما لها من الديون عند دول أوروبا مع ان الولايات المتحدة طالبتها واستوفت منها وقد ضيقت الخناق على فرنسا

ج . لم نهمل انكثرا المطالبة بما لها من الدين وقبيل كتابة هذه السطور رأينا صورة الوفد الايطالي الذي ارسل الى انكثرا ليساوم في كيفية ايفاء دين ايطاليا

(١٨) تيمورلنك

سنترال فولز رودايلند . الخواجه
بورغاكي مشاطي . قرأت في إحدى الجرائد
عن تيمورلنك انه بنى قلعة من الجثث في
حلب فمن هو تيمورلنك هذا وفي اي زمن
ظهر وما هو الدافع الذي دفعه الى هذا
العمل الفظيع

ج . تيمورلنك فاتح من اعظم الفاتحين
الذين نشأوا في اسيا ولد في كش على نحو ٥٠٠
ميلاً من سمرقند سنة ١٣٣٦ للميلاد وتغلب
على خصومه وجلس على عرش سمرقند
ودوخ الهند ووصل في فتوحه غرباً
الى دمشق واسر السلطان بايزيد العثماني
وكان جباراً عنيداً سفاكاً للدماء وحليماً
روؤفاً محباً للعلوم والفنون . ولكن ابن عرب
شاه صاحب كتاب عجائب المقدور في
اخبار تيمور نسب اليه فظائع كثيرة لا يقره
عليها المحققون

(١٩) اكبر المكاتب العمومية

نيو يورك . احد المشتركين . هل تعد
مكتبة نيو يورك العمومية بين المكاتب
الكبرى في العالم

ج . هي ومكتبة الكونغرس بوشنطن
اكبر المكاتب في الولايات المتحدة وكل منهما
فيها ما يزيد على مليوني مجلد ولكن تفوقهما
المكتبة الوطنية بباريس ومكتبة المتحف
البريطاني بلندن ففي كل منهما ثلاثة ملايين مجلد

ج . هو احد المحررين فيها ولو اراد
ذكر اسمه لذكر في المقطم
(١٧) حمل الزيتون كل سنة
وجه الحجر بلبنان . فائز افندي عساف .
طالعت في مقتطف بناير من المجلد
الثامن والثلاثين صفحة ٨١ فصلاً بعنوان
الزيت والزيتون جاء فيه ما يأتي

« وقد طرأ على شجر الزيتون في ساحل
بيروت طارئ جعله يحمل سنة وينقطع
عن الحمل اخرى ومنه ضرر لان السنة
التي يكثر حملها يرخس زيتونها فيقل ربح
اصحابه والزيت الذي يبقى منها الى السنة
التالية لا يبقى جيد الطعم غالباً كالزيت
الجلبد . ويمكن ان تعالج هذه الآفة بمنع
حمل بعض الاشجار في السنة التي يكثر حملها
فحمل في السنة التالية فيصير بعض الشجر
يحمل هذه السنة وبعضها يحمل في السنة
التالية دواليك فلا تخلو سنة من زيت
وزيتون »

فما هي الوسطة لمنع حمل بعض الشجر
في السنة التي يكثر حملها . وهل من وسطة
لجعل شجر الزيتون يحمل كل سنة

ج . الطريقة في ذلك انه حينما يظهر الزهر
تقطع كل الاغصان التي فيها زهر من
رؤوسها حيث يوجد الزهر . والعمل متعب
كثير النفقة ولكن نتيجة تفي بالتعب
والنفقة

باب الاخبار العلمية

مقتطف مارس

افتتحنا هذا الجزء من المقتطف بمقالة جعلنا عنوانها «اللباس وارتباطه بمصالح الناس» وفيها بيان علمي تاريخي للاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في دمشق عن «اللباس في الاسلام»

وبعدها كلام على النور وفعله في الاحياء ابناً فيه فعل الاشعة التي فوق البنفسجي ويليهِ وصف احدث المكتشفات الاثرية في سقارة وصورة صني الاعمدة المضلعة التي عثر عليها قرب هرم زوسر المدرج ثم جانب من رسالة تاريخية للاديب انيس زكريا التصولي موضوعها «اسلوب المؤرخين العرب في كتابة التاريخ» فتمتة القصة التي نالت جائزة المقتطف الثانية وعنوانها «الصراع»

وبعدها مقالة مسهمة للدكتور طه حسين استاذ الآداب العربية في الجامعة المصرية موضوعها «النثر العربي في خمسين سنة»

ثم الفصل الثاني من الفصول العلمية الفكاهية التي ننشئها في كنوز البحار وغرائب

انتشالها وهذا الفصل يدور على مخاطر الغوص ومعدات الغواص

و يليه مقالة فلسفية لاسماعيل مظهر بك عنوانها طابع المدنية الحديثة قارن فيها بين مدنية اليونان وعنايتها بالفرد والمدنية الحديثة واهتمامها بالجمهور

وبعدها كلام موجز على انتشار التعليم العالي في فنلندا

ثم خطبة تاريخية نفيسة لمرقص سمكة باشا عن «الآثار المصرية والتحف القبطي» ويليها فصل عن اشهر ملوك البترول في اوربا وابعدهم نفوذاً نريد به السرهري دتردنج مدير شركة الرويال دتش وهو معروف بنوليون البترول اوركفل اوربا وفيهِ صورته

ثم تحقيق تاريخي علمي عن اصل الشمرين واحوال بلاد العرب في الزمن السابق للتاريخ لعالم عراقي كبير

وبعده وصف لآثار البترا وهي المدينة التي نحتت هياكلها وقصورها ومدانها في الصخر وقد كانت من اكبر محطات القوافل بين بلاد فارس وبلاد مصر وبين الهند والبحر المتوسط وفيهِ صورة بعض آثارها

أوجه القمر في شهر مارس

يوم ساعة دقيقة			
٧	١	٤٩	مساءً
١٤	٥	٢٠	صباحاً
٢١	٧	١٢	»
٢٩	٠	١	مساءً
٢٥	٦	٥٤	صباحاً
١٣	١	٣٠	»

السيارات في مارس

عطارد . كوكب مساءً في اول الشهر
ولا يرى في آخره
الزهرة . والمريخ والمشتري كواكب صباح
زحل . يشرق الساعة ١١ ليلاً

الاسماء الكيماوية القديمة

يعجب العامة من غرابة الاسماء
الكيماوية الحديثة وطول بعضها مع ان
الكيماويين ارادوا ان تدل على تركيب
المسميات فاذا قلنا الحامض الكبيريتيك اردنا
السائل المركب من جوهرين من الهيدروجين
وجوهر من الكبريت واربعة من الاكسجين
اما اسمه القديم وهو زيت الزاج فغاية ما
يدل عليه انه مستخرج من الزاج . والزاج
نفسه لا يدل الا على مادة جامدة مميتة
بهذا الاسم واما اسمه الكيماوي الحديث وهو

ويليها مقالة للدكتور حسن كمال
عنوانها الفنون الجميلة والبناء عند قدماء
المصريين وفيها صورة للفراغ المعماري الذي
يوجد في السبق اليه على المصريين القدماء
ثم سيرة دوفي الرحالة الانكليزي الذي
رحل الى بلاد العرب بين سنة ١٨٢٦ الى
١٨٢٨ واثف كتاب صحراء بلاد العرب
المشهور Arabia Deserta

وبعد كلام علمي فكاهي على طبائع
الافاعي الكبيرة وبعض الاوهام الشائعة عنها
وبه صور لافعي اضربت عن الطعام فصارت
نظم غصياً وصورنا افعين احدهما يتلع
طائر كبيراً والثانية تضغط على فريستها لتتيتها
وبلي ذلك سيرة مجلان اول من طاف حول
الارض وفيها صورته وصورة السفينة فتوريا
وهي اول سفينة اتمت الطواف حول الارض
ثم مقالة للاستاذ حسن حسين عنوانها
« مذهب تناسخ الارواح » اتى فيها
على ذكر بعض الحوادث والآراء التي تحمل
اصحاب هذا المذهب على اعتناقها

وبلي ذلك ابواب المقتطف فباب
المراسلة فيه مقالتان نفيستان الاولى عن
« الدرر وحوب ابراهيم باشا » والثانية عن
« حجارة البترول في فلسطين » . وباب
الزراعة فيه مقالة عن انتشار زراعة النخيل
في الارض وزراعة القطن في السودان ووصف
خزان سنار

كبريتات الحديد فيدل على انه متولد من
الحامض الكبريتيك والحديد ويدل ايضا
على نسبة ما فيه من الاكسجين والهيدروجين
والكبريت والحديد وزناً. واغرب من ذلك
ان الكيماويين الاقدمين اطلقوا على كل
عنصر من العناصر التي عرفوها ومركباتها
اسماء كثيرة. قال الباحثان ودمن ورسكا في
رسالة نشرها حديثاً بالامانية ان كيماويي
العرب سمو الذهب ٢٣ اسماً مختلفاً والزئبق
نحو ٦٠ اسماً وقد استخلصا هذه الرسالة من
كتاب خطي للطغرائي الشاعر المشهور في
صناعة الاكسير. ومن اغرب هذه الاسماء
«الكاتب» «وحياة الاجساد» للزئبق.
«والمخ الطيار» «والفلل الارمني»
للوشار «وطائر سقراط» للكبريت.
والغرض من هذه الاسماء التعمية حتى لا
يفهم احد المراد بها الا اصحاب الكيمياء. اما
الاسماء الجديدة اي اسماء المركبات الكيماوية
المعروفة بها الآن فالمراد بها معرفة العناصر
الداخلية في تركيب كل مادة ومقدارها

مصدر البترول

اختلف العلماء في تعليل تولد البترول
في الارض. ومن الآراء الشائعة انه متولد
من دهن الاسماك اي ان اسماكا كثيرة
تجمعت في بعض الاماكن في العصور
الجيولوجية وماتت وطُحرت فتخلب ما فيها

من المادة الدهنية او الزيتية وتحول الى بترول
على مرور الزمن. وقد استدل بعضهم الآن
على صحة هذا الرأي بما عرف من طبائع
الانكليس (ثعبان البحر) فانه اذا حان
وقت مزاجته وتوليد هبط من انهارها
الى البحر وسار الى بقعة عميقة في الاوقيانوس
الاتلنطيك فتزواج هناك وعادت صفارته
رويداً رويداً الى ان تبلغ انهار اوربا ومن
المؤكد ان الانكليس الكبير الذي يولد في
تلك البقعة لا يعود منه شيء الى الاماكن
التي ذهب منها. والظاهر انه يموت كله
وتبقى اجسامه في تلك البقعة. فاذا فرضنا
ان المدة التي كفت لتكوين ما في الولايات
المتحدة من البترول عشرة ملايين من السنين
وكان مقدار هذا البترول ثلاثة آلاف
مليون طن وكان الزيت الذي في الانكليس
الواحد يبلغ ١٠٠ جرام وفرضنا ان عدد
الانكليس الذي يهاجر سنوياً ثلاثة
ملايين كفت لتوليد كل البترول الذي
يوجد في الولايات المتحدة

البحث العلمي في البترول

في اميركا معهد لدرس كل ما يتعلق
بالبترول علماً اهدي اليه المستر كفلر الصغير
خمسین الف جنيه واهدت اليه الآن شركة
البترول العمومية خمسین الف جنيه اخرى
ليجري في مباحثه هذه

تاريخ مدفن عبراني في بيروت

جاء في مجلة المشرق لشهر فبراير ما خلاصته ان المهندس ادمون افندي بشاره ادى بحرها حجراً كلسياً طوله ٣٨ سنتيمتراً وعرضه ٣٦ وسمكه ١٥ عليه الكتابة العبرانية التالية وقد ساعد ادارة المشرق على فك معانيها حضرة الاب سبستيان روزنثال وهي



- (١) انضم (الى آبائهم) تميم
 - (٢) هلو (ي) بن منسا
 - (٣) رأس الطائفة
 - (٤) فاستنح في الفردوس سنة ١٤٠١
 - (٥) من اليهود
- وسنة اليهود ١٤٠١ المذكورة هي سنة تاريخ السلوقيين ونوافق سنة ١٠٨٩ — ١٠٩٠ للمسيح ويستدل من ذلك على ان هذا المدفن سبق عهد الرحالة اليهودي بنيامين

التودلي الذي زار سواحل الشام وحط الرحال في بيروت سنة ١٠٧١ م وقد ذكر ما وجدته فيها من الموسوبين فاحصاهم خمسين نفساً وفي اللاذقية ١٠٠ وفي جبيل ٢٠٠ وفي صور ٥٠٠ وهو يعين ما لكل مدينة من الاعيان المتولين على الملة اليهودية. والدفن الذي ورد ذكره آنفاً وهو تميم هلو كان احد هؤلاء الاعيان ويشار اليه برأس الطائفة. وقد وجد هذا الاثر غربي دار القنصلية الامير كانية عند حدود الرمل. انتهى باختصار

هبة ركفلر للآثار المصرية

عرض المستر جون ركفلر الصغير ابن المستر ركفلر المثري والمحسن الاميركي الشهير ان يهب مصرًا عشرة ملايين ريال تبني بها متحفًا يضم مجموعتها الاثرية النفيسة بكون من انجم المتاحف في العالم ويتصل به معهد للباحث الاركيولوجية

وقد قال الدكتور برستد المؤرخ المشهور ان الباعث للمستر ركفلر على اهداء هذا المال الطائل هو ان العالم كله ولا سيما العالم الجديد مدين لمصر في التهذيب والحضارة ديتا ظهر شأنه بالتدريج على اثر المكتشفات الاثرية في السنين الاخيرة. وقد علم ان كنوز مصر من آثارها القديمة البديعة قد زادت زيادة لا يتسع لها متحف القاهرة

ان هذه المدة لازمة لاعداد علماء مصريين يستطيعون في نهاية هذه المدة ان يتولوا شؤون المتحف والمعهد معاً

ان الروح التي اظهرها ركفلر في كل هباته لا تدع مجالاً للشك في انه مهيأ خالصة لوجه العلم لا يرمي من ورائها الى نفع او ذكر حتى بلغنا من احد المطلقين انه لا يريد ان يذكر اسمه في اختيار اسم للمعدين الجديدين في مصر. فعسى ان ترى الحكومة المصرية السبيل الى قبول هذه الهبة مهادفان فائدتها العلمية عظيمة جداً

وصل بحر الروم ببجيرة لوط

نشرنا في مقتطف يناير هذه السنة مقالة موضوعها الاحوال في فلسطين اشرفنا في آخرها الى مشروع كبير يراد به استعمال كل مياه نهر الاردن للري وحفر ترعة تصل بحر الروم ببجيرة لوط تجري فيها المياه جرباً محدوداً الى تلك البجيرة يقوم مقام ما يتغير منها من الماء. ولما كان سطح البجيرة اوطأ من سطح بحر الروم ١٢٩٢ قدماً فيكون من انحدار الماء في هذه التربة قوة تساوي ٦٧١٠٠٠ حصان تحول الى كهربائية كافية لفلسطين وسورية. وقد نشر المظلم في ١٩ فبراير لمكاتبه من حيفا تفصيلاً مهماً لهذا المشروع قال فيه انه للمهندسين الفرنسيين كارشي وغانديون من باريس وقد قدما

الشهير. فبتبرعه لانشاء معهد للباحث الاثرية ومتحف جديد عظيم يعتقد ان التسهيلات المنتظرة لا تقتصر فائدتها على علماء العالم اذ تمكنهم من القيام بمباحث دقيقة تؤدى الى التعمق في درس تاريخ الحضارة بل تتناول ايضاً الشبان المصريين الراغبين في الحصول على تثقيف علمي يجنب منهم مؤرخين لبلادهم العجيبة

وقد فهمنا ان ما يشترطه المستر ركفلر لهبته هذه لا يخرج عما يراه رجاله لازماً لحفظ المتحف والمعهد وصيانتها لذلك يقترحون انشاء لجنة مختلطة تتألف من اميركيين ينتدب احدها متحف المتروبوليتان بنيويورك والآخر الاكاديمية الوطنية بوشنطن وانكليزبين احدهما من قبل المتحف البريطاني والثاني من قبل الاكاديمية الملكية وفرنسوبيين احدهما من متحف اللوفر والثاني من اكااديمية الزخارف ومصريين احدهما وزير الاشغال وهو رئيس اللجنة الدائم ووزير المعارف الآخر اذا كان مدير مصلحة الآثار مصرياً فيكون بحكم وظيفته العضو المصري الثاني في اللجنة وسيطرة هذه اللجنة على المتحف والمعهد المتصل به تمتد الى ثلاث وثلاثين سنة. وذلك لان الاميركيين رأوا بالاخبار انه اقتضاهم مثل هذا الوقت في اميركا لاعداد علماء وباحثين يعتمد عليهم في هذه العلوم كبريستدوريسنر وغيرهما ولذلك يرون

تذهيب المكروبات

من اغرب ما نقله لنا البريدي هذا الاسبوع خبرا اكتشاف سيكون له شأن كبير في علم المكروبات فان السروليم هاردي الطبيب الانكليزي المشهور كان قد عهد اليه مجلس الابحاث الطبية في الحكومة البريطانية في درس صفات الهيموغلوبين وهي المادة التي تكسب الدم لونه الاحمر فوجد في اثناء بحثه انه اذا سلط مجرى كهربائيا سلبيا على الذرات الصمغية اتحدت هذه الذرات مع بعض المعادن . فاتخذ الاستاذ نيجولد الالماني هذا الاكتشاف قاعدة لمباحث عديدة اجراها حتى وفق الى طريقة لتذهيب المكروبات تذهيبا يمكن الباحثين من رؤية ذرات حجمها اصغر الف ضعف من حجم الذرات التي صورها المستر برنارد بالنور الذي فوق البنفسجي . وقد ابتداء الاستاذ مباحثه بمكروبات كبيرة كمكروب الباراتفويد الذي يرى بالمكروسكوب العادي فكان يضعها في حمام من محلول كلوريد الذهب فتطلى بقشرة من الذهب كما تطلى المعادن بالكهربائية ومن ثم اخذ يتدرج في تجربة طريقته في مكروبات اصغر من تلك فاصغر حتى وفق الى تذهيب البكتريوفاج الذي اكتشفه ده رل وجعله يرى بالمكروسكوب

طلبا بالمصادقة على مشروعهما هذا الى الحكومة البريطانية في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٥ نمرة ٢٢١ و ٢٢٩ فاجابتهما عليه بالموافقة ويحفظ الحق لهما بملكيتهم . وكان المشروع موضوع اهتمام اكاديمية العلوم في باريس على اثر الرسالة التي قدمها اليها عنه السيد ادوار امبو المدرس في مدرسة الكباري والسدود الوطنية . ومما جاء في هذا الرسالة ان ماء البحر الملتصق ملح جدا بمعدل ٢٤٠ غرام ملح في اللتر وماء بحيرة طبرية واهالي نهر الاردن حلو فيمكن استخدامه للري واذا اقتضى الامر تستعمل الطلبات الكهربية لرفع المياه ومن المستحسن جعل بحيرة طبرية مستودعا للتدفق من نهر الاردن وتنظيم امر الباقي منه ببناء سدود على النهر جنوبي بيسان واقامة سدود أخرى في مواضع موافقة على جوانب النهر وهكذا يمكن استخدام هذه المياه لري سبعين الف هكتار الى مائة الف

خريجو الجامعات والبحث العلمي

اعطى الامناء على تركة المسترجون منلنج الاميركي جامعة يابل الاميركية مليون ريال ليعطي ريعها لخريجي تلك الجامعة وغيرها الذين يرغبون في البحث العلمي والاقطاع له فيعطي الواحد منهم ٢٠٠ جنيه الى ٣٠٠ في السنة

امراة تلد اربعة اطفال معا

نشر المقطم في ١٧ فبراير خبراً لمكاتبه في سنورس قال فيه
دعي حضرة الدكتور فريد بك محمد طبيب مركز سنورس لاسعاف امراة كانت تلد في بندر سنورس وكانت دهشة الناس عظيمة لما علموا ان المرأة وضعت اربعة اولاد ثلاثة ذكور وانثى واحدة وانما دهش الناس لامرين الاول ان المرأة ما كانت يبدو عليها في اثناء الحمل ظاهرة غير عادية والثاني ان اولادها ولدوا احياء واستنشقوا نسيم هذه الحياة حيناً من الدهر

معالجة لدغ الافعى

جاء في مجلة الشرق الادنى التي تصدر في باريس بالعربية والفرنسية انه يجب الامتناع عن استعمال جميع الطرق القديمة كامتصاص الجرح او كيه بمحديدة ممحاة او بوضع النشادر عليه او صبغة اليود او غير ذلك فان فعل جميع هذه المواد الكاوية ضار بحسب اعتقاد الدكتور رو من مختبر باستور

فحين تلدغ الافعى شخصاً ينبغي :

١ - الاسراع بربط العضو الملدوغ ربطاً شديداً فوق الجرح

٢ - فصد الجرح وتوسيعه بمديدة او

بآلة جارحة

٣ - استعمال الحجامة اذا امكن

حول الجرح

٤ - صب ٥ الى ١٠ غرامات من محلول برمنغنات البوتاس من عيار ١ الى مائة في الجرح بعد توسيعه. ويحسن سكان الاماكن التي تكثر فيها الافاعي او بنتجعي تلك الاماكن ان يكون معهم دائماً من ذلك المحلول

٥ - فرك الملدوغ فركاً خفيفاً وتجريه شيئاً من القهوة ومقداراً من الكحول

كلف الشمس

ظهرت على الشمس كلفتان كبيرتان تريان بالعين لكبرهما اذا نظر الى الشمس من خلال لوح من الزجاج سود بالذخا. واحدى هاتين الكلفتين من اكبر الكلف التي ظهرت على وجه الشمس منذ خمسين سنة الى الآن وقد بلغ طولها في التاسع عشر والعشرين من يناير نحو ٦٠٠٠٠ ميل

سكان اميركا الاصليون

استنتج الدكتور هردلكا بعد البحث المدقق ان سكان اميركا الاصليين (هنود اميركا) هاجروا اليها من شرق اسيا وان ذلك كان منذ عشرة آلاف سنة على الاقل وخمسة عشر الف سنة على الاكثر. والف ليو وبنر Leo Wiener من جامعة

والذهب) علاجاً للسيل الرئوي . وقد كتب الاستاذ اليوت الآن في مجلة اللانست الطبية انه امتحن هذا العلاج في احدى عشرة حادثة فوجد انه اذا استعمل بالتأني افاد اكثر من كل علاج آخر

استعمال الجراد

عرب البادية يأكلون الجراد ونحن نعرف من شوى الجراد واكله وقال ان طعمه مثل طعم السرطين المشوية . وقد بليت به البلاد في جنوب افريقية فتألفت شركة تجمعه وتضع منه طعاماً للدجاج وسامداً للارض

النحاس للتصوير الشمسي

ابان الميسو بيوتشون والمداموازل دمورا انه اذا وضعت صفيحة من النحاس في مذوب كبريتات النحاس وعرضت للهواء تغطت بغشاوة من اكسيد النحاس وصارت حساسة بفعل النور كالواح الفوتوغراف

الاعلان عن اللاسلكي

جاء في جزء فبراير من السينتفك اميركان ان اصحاب صناعات الآلات والادوات اللاسلكية في الولايات المتحدة سينفقون عشرة ملايين ريال على الاعلان عن بضائعهم في السنة القادمة بصيب الصحف منها نحو مليوني ريال ونصف مليون فقط

هارفرد كتاباً كبيراً اثبت فيه أنه كان لمرب اسبانيا وافريقية معاملات تجارية مع سكان اميركا الاصليين قبل كولمبوس بمئات من السنين وسنأتي على خلاصة ذلك في بعض الاجزاء التالية

الزجاج الآلي

صنع عالمان نمسويان مشهوران وهما الدكتور فرتز بولاك والدكتور كرت وبر من اهالي فينا نوعاً جديداً من الزجاج وهو شفاف وصلب كالزجاج العادي ولكنه لين ايضاً حتى يسهل ليه ونشره وخرطه وخرقه ويلون بكل الالوان ويبقى شفافاً ولا يؤثر فيه الحر ولا البرد ولا يحجب اشعة النور التي فوق البنفسجي كما يحجبها الزجاج المعروف . فهو افضل من الزجاج من كل وجه . ولم تعلن المواد التي يتركب منها ولكن يظهر لنا من تسميته بالزجاج الآلي انه يصنع من مواد حيوانية او نباتية كالغراء والزلال والهام . وقد نال مخترعه الامتياز لعمله في البلاد الانكليزية وغيرها والظاهر انه سيكون رخيصاً كالزجاج العادي

علاج السل

اشار الاستاذ مولغارد Mollgard من اساتذة جامعة كوبنهاغن باستعمال السنوكزين Sanocrysin (نيولفات الصوديوم

الجزء الثالث من المجلد الثامن والستين

صفحة

اللباس وارتباطه بمصالح الناس	٢٤١
النور وفعله في الاحياء	٢٤٦
آثار سقارة المكتشفة حديثا (مصورة)	٢٤٨
اصولب المؤرخين العرب . لانيس افندي زكريا النصولي	٢٤٩
الصراع . لسليم افندي شحاته	٢٥٤
النثر العربي في نصف قرن . للدكتور طه حسين	٢٦١
كنوز البحار وغرائب انتشارها	٢٧٠
طابع المدينة الحديثة . لاسماعيل بك مظهر	٢٧٤
انتشار التعليم في فنلندا	٢٨٠
المتحف القبطي . لمرقص صميكة باشا	٢٨١
ملوك البترول (مصورة)	٢٨٧
العرب في التاريخ . لفهر الجابري	٢٩١
آثار البتراء (مصورة)	٢٩٧
الفنون الجميلة والبناء (مصورة) . للدكتور حسن كمال	٣٠١
الرحالة دوتي	٣٠٤
طبائع الافاعي الكبيرة (مصورة)	٣٠٥
مجلان (مصورة)	٣٠٩
مذهب تناسخ الارواح . لحسن افندي حسين	٣١٣
باب المراسلة والمناظرة * تزوج الدروز الى حوران (مصورة) : اعظم موارد	٣١٦
الثروة في فلسطين	
باب الزراعة * انتشار زراعة النخيل في العراق وفارس، والهند وباكستان	٣٢٦
وبلاد العرب وسوريا وفلسطين ومصر وايبيا والقيروان وافريقية الفرنسية،	
من صحراء جزاء. خزان سنار والقطن في السودان. أوراق النبات المنيرة	
باب تدبير المنزل * انتقال العدوى وحاملو المكروب. فساد الاطعمة. اللباس والنور	٣٣٦
والصحة. حشرات البيت	
باب التقريظ والانتقاد *	٣٤١
باب المسائل * وفيه ١٩ مسألة	٣٤٤
باب الاخبار العلمية * وفيه ١٩ بذنة	٣٥٢